العرب قادمون

المغامرون الستة
و
سر السكرتير الهارب

تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
أحمد شوقى

جرافيك
شريف محمد

انتهي العام الدراسي بكلية الصيدلة العربية، والتي تضم جميع الطلبة من الدول العربية ومن ضمنهم حمدي فاضل الطالب المصري، والذي صادق فيها جميع الطلبة.. خاصة وليد العراقى وطلال السعودي وجاسر اللبناني وهادية البحرينية ولمياء الجزائرية

وقد ساد بين جميع الطلبة شعور بالسعادة والراحة بعد الجهد الهائل الذي بذلوه طوال العام في الدراسة والاختبارات المتواصلة ومما ضاعف من سعادة الجميع، أن كل منهم سيسافر إلي بلده ليقضي فيها إجازة آخر العام بين أهله وأصدقائه ومعارفه.. إلا هادية، فقد كانت هي الوحيدة التي تشعر وكأنها ستقضي فترة الاجازة في سجن، حيث تعيش في بلدها.. مع أسرتها، التي تتكون من والدها وهو رجل أعمال معروف يقتضي عمله منه التنقل طوال العام في العديد من بلدان العالم، فيخلو المنزل إلا من شقيقها الأصغر والوحيد "فيصل"، والذي حصل علي شهادة الإعدادية هذا العام، وزوجه أبيها والتي تزوجها بعد وفاة والدتها ببضعة أشهر.. وكانت امرأة شديدة

الأنانية تكره أولاد زوجها وتعاملهم أسوأ معاملة، ولكن اللؤم والكذب التي تمتاز بهما، جعلاها تتذرع بالحجج المتعددة أمام والدهما عندما يشتكيان إليه من سوء معاملتها، ومن خلال حججها التي تجيدها، كانت تكتسب قلب والدهما في صفها دائما، رغم تفننها في معاملتهما أبشع معاملة.. وكانت هادية قد شعرت بأن النجاة من هذه المرأة السيئة هي الجنة بعينها.. ولذلك فإن قضاء الإجازة السنوية معها في منزل واحد، سيجعلها في سجن لمدة شهرين بأكملهما.

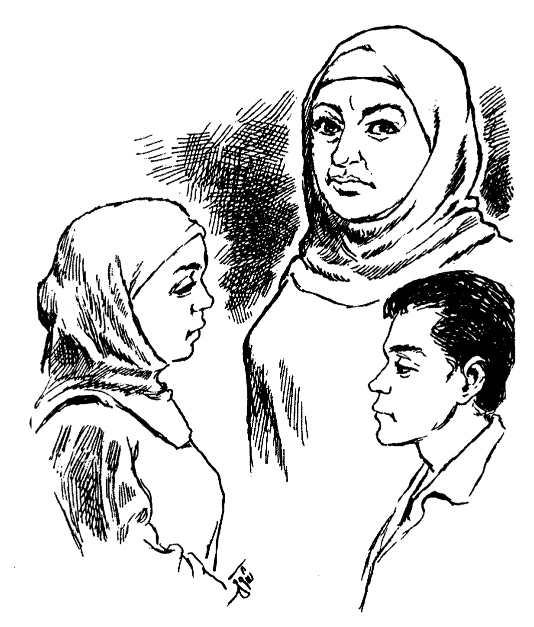
وكانت هادية وهى تجمع حاجياتها للسفر تفكر في أي وسيلة تجعلها تمد أقامتها في الكلية، لولا أن بيت الطالبات الملحق بالكلية سيكون مغلقًا، حيث سيسافر العاملون فيه مثل الطلبة لقضاء الإجازة السنوية.. وودت لو أمضت هذه الفترة مع شقيقة حمدي، فأسرة حمدي كلها تحبها وتحنو عليها ولا تطيق فراقها، ولكن كانت كلمات شقيقها الحبيب فيصل إليها من معاناته من كراهية زوجة أبيه له، تطن في أذنيها بين حين وآخر، فتروح في بكاء شديد، وتتمنى أن تنقذه من بين براثن هذه المرأة اللئيمة

الغليظة القلب.

وكان فيصل يرجوها في كل مكالمة بينهما أن تصحبه معها إلي مصر، ليلتحق بأي مدرسة ليكون قريبًا من شقيقته الحبيبة.

ولكم حاولت هادية أن تلحقه بمدرسة قريبة منها، ليكون بمنأى عن مضايقات هذه المرأة التي لا تكف يومًا واحدًا عن إيذائه، ولكن كانت المشكلة أنه لا توجد مدارس بالمنطقة التي توجد بها كليتها الأمر الذي جعلها تعيش دائما في دوامة شديدة، وتروح بين حين وآخر تتساءل في أس ولوعة: هل تضحي بالكلية التي تعشقها عشقًا من أجل شقيقها؟ فهي مرتبطة بكل شيء في الكلية ارتباطًا وثيقًا وتحب جميع زملائها بالكلية حبًا جمًا.. وخاصة لمياء، فهي لا تفارقها إلا ساعات النوم.

فلما لاحظ جميع الطلبة وهم يستعدون لمغادرة الكلية الحزن والأسى علي وجه هادية، سألوها في دهشة عن السبب، فانفجرت في بكاء متواصل، وأخبرتهم وسط تنهداتها عما تكابده من مشقة وحزن، فتأثر الجميع في، وقال حمدي في تعاطف شديد، إنه سيبذل كل جهده



كانت زوجة الأب تعامل فيصل وهادية بجفاء وغلظة

ليصل إلي حل لهذه المشكلة، ولو أدي ذلك إلي إلحاق فيصل بمدرسة ثانوية في المنطقة التي يسكن هو فيها، ويعيش مع أسرته، فسيسعد والداه كثيراً بشقيق هادية.. فهما يشعران أن هادية بمثابة ابنتهما، ولها لديهما مكانة سعادس شقيقته.

فشكرته هادية علي هذه المجاملة التي تنم عن كرم شديد وأخوة وثيقة.. ولكنه بعد عشرة أيام من سفرها لبلدها إذا بحمدي يتصل بها ليخبرها بأنه توجد مدينة جديدة أسمها مدينة الأمل، فقد تم إنشاءها منذ عامين فقط وهي علي بعد مائة كيلو متر من المنطقة التي توجد بها الكلية، وتحوي عشرات المدارس، وبعد التفتيش والبحث في المنطقة، استطاع أن يجد لشقيقها فيصل مكانًا بمدرسة ثانوية بها وتلحق بها منطقة سكنية خاصة بالجاليات العربية، فيتيح بذلك الفرصة لديها لأن تقضي مع شقيقها يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.

فما أن سمعت هادية بهذا الخبر حتى أسرعت إلي والدها وبذلت جهدًا شديدًا في إقناعه بالأمر، وظلت تلح عليه هي وشقيقها فيصل لأيام متواصلة.. حتى رضخ والدهما

أخيراً لطلبهما وهو علي مضض، وغمغم في ضيق شديد:
ولو أن ذلك سيحرمني من رؤيتكما، فلن أستطيع الالتقاء بكما إلا مرة واحدة في العام.

وبعد شهر واحد فقط كانت هادية ووالدها وشقيقها فيصل يزورون المدينة الجديدة، فما إن شاهد الوالد المدينة وما هي عليه من جمال وروعة في التنسيق حتى تحمس لإلحاق نجله بإحدى مدارسها.

وأمضي ثلاثتهم بضعة أيام في أحد الفنادق المقامة بالمدينة الجديدة، أنهى خلالها الأب الإجراءات الخاصة بإلحاق فيصل بالمدرسة وبمساكن الطلبة الملحقة بها.

فلم تصدق هادية نفسها، فقد شعرت أن كل أحلامها قد تحققت أخيراً، وبعد أن صار شقيقها في مكان قريب منها، وبمنأى من قسوة زوجة أبيهما.

وما إن مر علي بداية العام الدراسي الجديد أسبوعان فقط، حتى استطاع فيصل مصادقة جميع أبناء المدرسة.. حيث راح في مشاركة الجميع ألعابهم في فترات الاستراحة التي بين أوقات الحصص الدراسية، ويتسامر ليلا مع جميع زملائه المغتربين مثله، والذين يقيمون بمساكن

الطلبة الملحقة بالمدرسة.

- وكانت المدينة الجديدة - التي توجد بها مدرسة فيصل قد امتلأت بالسكان في كل بقعة فيها حتى الخدمات صارت متاحة تمامًا لكل سكان المدينة.. وقد احتوت الأسواق بكل السلع الضرورية التي يحتاجها الناس.. إلا أنه رغم كل ذلك، فقد كانت تفتقد إلي خدمة البث التليفزيوني.. حيث لا يصل إليها البث التليفزيوني لبعد المسافة بينهما وبين محطات الإرسال، مما جعل العديد من الأسر تعاني من نقص الخدمة التليفزيونية، والتي صارت قاصرة فقط علي من يمتلك هوائي الإرسال الخارجي (الدش).. ولكن لم يمر علي وجود فيصل بالمدرسة سوي شهر واحد، حتى فوجئ تلاميذ الدراسة به يخاطبهم قائلا: يا جماعة لقد توصلت إلي أعظم حل لمشكلة المدينة كلها..

ردد الجميع في حيرة:

أعظم حل ما هو؟

قال فيصل في تأكيد:

أن نمتلك نحن محطة إرسال تليفزيوني خاصة بالمدينة.

فنظر الجميع إليه غير مصدقين.

التلفزيون العجيب

وقف طلبة المدرسة يحدقون في فيصل في دهشة وحيرة شديدين، واعتقد بعضهم أنه يقول ذلك كمجرد أمنية يتمناها، إلا أنهم فوجئوا به يقول في ثقة :

نعم إن ما أقوله ممكن تحققه.

فسأله أحدهم وهو غير مصدق :

ماذا تقول يا فيصل هل يمكن لفرد أو حتى شركة امتلاك قنوات تليفزيونية خاصة ؟!

ولكن تدخل أحدهم وقال مؤمنًا علي كلام فيصل :

هذا ممكن جدًا يا جماعة ودليل ذلك هذه القنوات التليفزيونية الخاصة الجديدة التي تبث علي قمرنا الصناعي، فهي ملك لعدة أفراد أو شركات.

فعلق أحدهم في سخرية :

نعم هذا ممكن، ولكن لو كنا نمتلك الملايين من الجنيهات لنشتري بها قناة أو عدة قنوات علي القمر الصناعي.

بيد أنه قبل أن يتسرب اليأس إلي قلوب الجميع، صاح فيصل في ثقة وإصرار :

لا، لأننا لن نبث هذه القنوات من خلال استوديوهات

التليفزيوني المصري، ولا حتى من خلال القمر الصناعي، بل ستكون قنوات خاصة بمدينتنا الجديدة.

فانتابت الجميع حيرة شديدة، وتساءل أحدهم في اهتمام:

ولكن كيف ذلك؟

أجاب فيصل:

سيقتصر بث هذه القنوات علي سكاني المدينة وأصحاب المحال بها فقط.

ساد الصمت بين الجميع، وراح كل منهم يعمل فكرة، ولم يمض علي ذلك عدة دقائق حتى قطع أحدهم الصمت قائلا:

يالها من فكرة.. لكم تمنيت وجود قناة رقابية علي جميع المواطنين المهملين والمتسيبين في كافة المجالات، فقد لاحظت أنهم يفرون خوفًا عندما يواجهون المسئولين، بل وإن الكثير من أصحاب المناصب أنفسهم يخشون من تسليط الأضواء علي عيوبهم وإهمالهم، فلو وجدت قناة يظهر فيها ما يدور في الطريق العام وأماكن العمل من تسيب وإهمال، لاستطاعت أن تقضي علي ما يحدث من إهمال

وتسيب تمامًا.

فراقت هذه الفكرة لعدد كبير منهم، وأردف أحدهما في حماس:

ويا حبذا لو التقى المتسيبون مع المسئولين أمام شاشة التليفزيون في هذه القناة، ليواجهوا بعضهم بعضًا في كل المجالات، وبهذا نضمن وجود رقيب دائم، وهو الشعب.. أهل المدينة.

هز آخر رأسه بالموافقة وقال مؤمنًا على كلامه: ياله من أسلوب نحن في أشد الحاجة إليه، فسيؤدي إلي أن يخشى بذلك كل متسيب من رقابة جميع أهل المدينة له.

فصارت فكرة القنوات الخاصة هذه موضوع إعجاب كل تلاميذ المدرسة، فتحمسوا لها جميعًا، وراح كل منهم يتخيل مزايا هذه القنوات التليفزيونية الخاصة.

وأضاف فيصل بعدما اجتمع بهم في اليوم التالي قائلا:

بل وتشاهدون أيضًا برامج حسب الطلب، فنظر إليه الجميع في دهشة ، وسأله أحدهم في حيرة شديدة:

ولكن هل يمكن ذلك؟

أجاب فيصل والذي كان يفكر في هذا الأمر منذ حضوره

المدرسة :
هذا أمر في غاية البساطة في التنفيذ، وتوقف، وجعل ينقل نظرته بين الجميع الذين كانوا يتابعونه بشغف هائل، ثم أردف قائلا :
نعم في غاية البساطة فكل الأسر الموجودة بالمدينة يستطيع معظمهم الاشتراك في هذه القنوات فيرسل الجميع برغباتهم، ويتم تشكيل لجنة مهمتها تجميع ..رغبات كل مجموعة من المجموعات في برامج معينة فتكون هي البرامج المذاعة.. سواء كانت تمثيليات أو أفلام ومسرحيات.. وحتى مباريات كرة قدم وغيرها.
فجعلت فكرة القنوات الخاصة بالمدينة تستحوذ على تفكير كل تلميذ.. وراح كل منهم يحلم بوجود قناة تبث له ما يريد من أفلام وتمثيليات وكافة البرامج التي يحبها، بالإضافة إلي البرامج التي ستكون بمثابة الرقيب علي كل مهمل ومتسيب، فتكشفه أمام الناس جميعًا، وبذلك يحذر كل فرد من الإهمال والتسيب ومنهم من فكر في وجود برنامج يتيح لكل فرد أن يعبر عن رأيه بصراحة فيما يحدث أمامه أو يحدث له.. أو يعرض أي فكرة تخطر

بباله.. فتصل الأفكار والآراء إلي كل أهالي المدينة والمسئولين بها.. أما كل من يجد في نفسه موهبة، فقد وجد الفرصة أمامه في هذه القنوات ليعرض موهبته هذه أمام الجميع.. فلم يمر علي ذلك إلا عدة أيام فقط، حتى صارت فكرة القنوات التليفزيونية الخاصة بالمدينة هذه، أمل كل تلميذ بالمدرسة.. بل انتقلت هذه الفكرة إلي جميع المدارس الأخرى بالمدينة، فصارت أمل كل التلاميذ بالمدينة والتي ستكون الوسيلة التي من خلالها ينشد تحقيق أحلامه. ولكن وفجأة علق طالب مصري في أسى: للأسف.. لقد سألت منذ عدة أيام أحد أقاربي يعمل محاسبًا بالتليفزيون، فصدمني بالحقيقة التي لم نضعها في الحسبان.

فلما التفت إليه الجميع متسائلين في شغف، أردف قائلا بنبرة الأسى:

نعم لأن قناة التليفزيون هذه ستتكلف أربعين مليون جنيه.

فأصيب الجميع بإحباط شديد.. فلقد ضاع بذلك الحلم الذي راود قلوب وعقول الجميع..

اتجهت أنظار الجميع إلي فيصل وثبتوا عليه عيونهم وهم في حالة ضيق شديد، بعدما شعروا أنه فتي خيالي، أدخل في قلوبهم أسعد خبر جعلهم جميعًا يعيشون في حلم، ثم اتضح أنه مجرد خيال.

فشعر فيصل بإحباط شديد، جعله يكاد يبكي من شدة اليأس.. بيد أنه وبعد ثلاثة أيام، وقبل أن يدخل التلاميذ الفصول، إذا بتلميذ سوداني الجنسية يبادرهم قائلا في حماسة:

إنه يمكن ببساطة تنفيذ فكرة فيصل.

فتوقف الجميع عن صعود سلم المدرسة، والتفتوا إلي التلميذ السوداني وهم في دهشة وحيرة، وسأله أحدهم غير مصدق:

ما هذا الذي تقوله؟ كيف ندبر أربعين مليون جنيه بأكملهم.

ولكن هز التلميذ رأسه مؤكدًا وقال:

نعم فلقد خطر ببالي فجأة حل في غاية البساطة، فلما وجدهم يتبادلون النظرات بين بعضهم البعض، قال



أنا أعرف كيف ننفذ فكرة التلفزيون الخاص

موضحًا بلهجة تأكيد:
نعم فلقد سألت منذ يوميان في مجلس المدينة عن عدد سكان المدينة، فأفادوني بأنهم تجاوزوا أربعمائة ألف أسرة وتوقف وقال بلهجة شارحة:
فلو سددت كل أسرة مائة جنيه كرسوم، لاستطعنا تحصيل الأربعين مليون جنيه ببساطة؟
فانتاب الجميع شعور بتجدد حلمهم مرة أخرى، واتفقوا علي أن يلتقون في الميعاد طبقًا للاتفاق كانت الحماسة قد دبت فيهم جميعًا، فشجع هذا الأمر تلميذًا ليبي الجنسية علي أن يقول في حماسة شديدة:
لدي فكرة أيضًا سوف تجعلنا نحصل علي أضعاف هذا المبلغ.
سأله تلميذ كان يقف بجواره في لهفة:
فكرة لتحصيل ضعف هذا المبلغ، ما هي؟
أجاب التلميذ الليبي وهو ينقل نظراته بين الجميع:
لقد علمت من مجلس المدينة، أنه يوجد بها مائتي ألف طالب بمدارسها، موزعون علي الصفوف الدراسية.. ففي الصف الدراسي الواحد يوجد ما بين خمسة عشر أو

سبعة عشر ألف طالب.

وتوقف فجأة ولما تأكد أن الجميع راح يفكر في طبيعة الأرقام، أردف قائلا:

فلماذا لا نجعل كل طالب يتلقى درسًا خاصًا من أشهر وأمهر معلم في كل مادة دراسية.

فلما راح الجميع يمعن التفكير في هذه الفكرة، أضاف قائلا:

ولا يقف الأمر عند ذلك فقط، بل يمكن استخدام أفلامًا علمية توضيحية كعوامل مساعدة في تدريس كافة موادنا الدراسية.. يختار كل مدرس الأفلام العلمية التي تخص مادته، ونقوم نحن بشرائها له، فذلك سيؤدي بلا شك إلي رفع مستوى العملية التعليمية.

لاقت الفكرة قبولا مشوبًا بالإعجاب لدي الجميع، فتعالت صيحات الإعجاب الشديد بها، وعقب تلميذ آخر، بعدما تأثر بهذه الفكرة:

إنها فكرة رائعة، ولذلك أقترح أنه بعد أن يتم شرح الدرس للمادة، يرسل جميع الطلبة أسئلتهم عن النقاط الغامضة والتي تحتاج إلي إعادة شرح.. وبذلك يكون

لدي كل تلميذ شعور بأنه يتلقى درسًا خصوصيًا.

عظيم لو دفع كل تلميذ مائة جنيه عن المادة الواحدة في العام بأكمله، فإن هذا المبلغ يعتبر في متناول كل تلميذ تقريبًا، وينتج لنا ربحًا وفيراً من هذه العملية.

وفي نهاية الاجتماع، اتفق الجميع علي أن يتم عرض هذا الأمر على كل الأسر الموجودة بالمدينة لكي تسدد كل أسرة فورًا مائة جنيه لتجهيز القناة التليفزيونية.. ورشحوا فيصل ليتولى مسئولية التحصيل في مدة لا تتجاوز ثلاث شهور، علي أن يتم فيما بعد تأسيس شركة من بينهم تتعامل مع المتخصصين في التليفزيون.

وبالرغم من سعادة فيصل بنجاحه في تحقيق أخطر فكرة صادفت المدينة الجديدة، لكنه شعر بخوف وتوجس من هذه المسئولية التي ألقيت علي عاتقه.. فكيف يقوم بذلك وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره.

وكان خبر قيام تلاميذ المدرسة بهذا المشروع الكبير قد وصل إلى مدير المدرسة، فأعجب به إعجابًا شديد، وطلب لقاء جميع التلاميذ في فناء المدرسة قبل أن يدخلوا فصولهم، وخاطبهم في حماسة قائلا:

لقد أعجبتني الفكرة إنها أكثر من رائعة يا أولاد فهي ستجعل من مدرستنا مدرسة نموذجية..

فقاطعه الجميع بالتصفيق الحاد، وجعلوا يهتفون باسم فيصل، فتوقف المدير قليلا، ريثما ينتهي الهتاف، ثم أردف قائلا:

ولذلك سأقوم أنا من خلال سكرتارية المدرسة بإرسال الخطابات إلي كل الأسر بالمدينة لشرح الموضوع، بل وسأمضي وقتًا للرد علي استفساراتهم.. علي أن يرسلوا جميعًا اشتراكاتهم إلي المدرسة، وكما اتفقتم عليه، ستقع علي عاتق زميلكم فيصل مسئولية تحصيل الاشتراكات.

إلا أنه وبعد أن بدأ التلاميذ في تنفيذ خطتهم، وعكفت الموظفات بإدارة المدرسة علي كتابة صيغة خطاب ليتم طباعة مئات الآلاف من النسخ منه، إذا بالأستاذ مؤنس الجميل سكرتير المدرسة، يستأذن في دخول مكتب مدير المدرسة، فلما أذن له المدير بالدخول بادره السكرتير قائلا في لهجة اعتراض:

لقد فوجئت بأن سيادتك قد سمحت بإسناد مهمة تحصيل المبالغ الضخمة والتي قد تتجاوز الأربعين مليون جنيه

إلي الطالب فيصل.

وتوقف السكرتير وجعل يحدق في وجه المدير لثوان، ثم أردف قائلا وقد تضاعفت نبرة اعتراضه..

إنني أتعجب كيف يمكن أن يحدث هذا وأنا موجود في المدرسة فأنا ذو خبرة ومع ذلك لا أستطيع تحمل هذه المسئولية فما بالنا بفتى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره..

لكنه وبالرغم من لهجة العتاب القاسية التي تفوه بها السكرتير، إلا أن مدير المدرسة لم يغضب، بل ندت عنه ابتسامة واسعة، وقال في ثقة:

لا تخش من شيء يا أستاذ مؤنس، فأنت تعرف أننا قد اشترينا خزينة ضخمة بل هائلة الحجم، وهي معدة لكي تحوي كل شهادات التلاميذ عندما يحصلون عليها، بالإضافة إلي كل محفوظات المدرسة ولا يستطيع أحد مهما كان أن يتعرف على طريقة فتحها لأنها ذات شفرة سرية، ولا يعرفها إلا أنت فقط لأنك الذي ذهبت لشرائها.

وسكت قليلا، وهز رأسه وقال مؤكدًا:

فستستخدم هذه الخزينة لتوضع فيها الرسوم التي يتم تحصيلها.. وبالتالي لن يعرف الشفرة غيرك سوي التلميذ فيصل المكلف بالتحصيل.

وتوقف، ولما لا حظ أن الهدوء والراحة قد ظهرا علي وجه السكرتير، وذهب الشك الذي كان يخامره، أردف قائلا:

وبمجرد أن يتم تحصيل هذه الأموال، سنقوم علي الفور بإجراء فتح حساب بالبنك لنضع فيه كل هذه الحصيلة.

فاقتنع السكرتير بالأمر تمامًا، واستأذن في الانصراف بعد أن اعتذر للمدير عن لهجة الاعتراض التي بدرت منه.

وكانت الغرفة التي يقيم بها فيصل ويشاركه فيها طالب سوري الجنسية يدعي فهد، والذي صار صديقًا حميمًا لفيصل لدرجة أنهما قد أصبحا لا يستطيعان أن يفترقا عن بعضهما لساعة واحدة.. حتى في الفصل.. لكن زار فهد فجأة ابن عم والده وهو رجل كبير السن يدعي "علي السرجاني" وهو سوري الجنسية، مقيم في مصر منذ زمن طويل، وقد حصل على الجنسية المصرية.. وعرف فيصل من الرجل أنه كان يعمل موظفًا كبيراً في أحد البنوك

بمدينة القاهرة، ولكن استقال وقام بالعديد من الأعمال الحرة.. وقد جاء إلي هذه المدينة ليعمل بها مشروعًا تجاريًا.

ولما علم "علي السرجاني" من فيصل بحكاية القنوات التليفزيونية الخاصة التي يسعى لإنشائها بدا عليه الإعجاب الشديد بالفكرة.

ولكن حدث أنه وبعد عدة أيام طلب السرجاني من قريبة فهد أن يذهب ليقيم معه في شقته المفروشة التي استأجرها بالمدينة ويترك مكانه بمساكن الطلبة، فظهر على فهد القلق والحيرة، وقال:

ولكن...

غمغم السرجاني في دهشة:

لكن ماذا يا فهد؟! إنها شقة شاملة المنافع، ويمكن أن يكون لك بها علي الأقل غرفة لتعيش بمفردك فيها.

فقال فهد معترضًا:

ولكنني لا أستطيع فراق صديقي فيصل أبدًا..

فاعترض الأستاذ علي السرجاني في ابتسامة واسعة، وقال: لا تخش شيئًا يا حبيبي فممكن أن يزورك صاحبك

كل يوم، وإذا أردت أن يبيت معك، فلن توجد مشكلة، فأنا لن أقيم في الشقة إلا ساعة النوم فقط.

ولم يلبث الأستاذ السرجاني أن ذهب بنفسه إلي الغرفة التي يقيم فيها فيصل وفهد، وأخطر فيصل بأمر انتقال فهد ليقيم معه، وطلب منه أن ينتقل ليقيم معهما في الشقة التي استأجرها، أو يزور فهد متى شاء.

فصار فيصل يتردد في كل يوم علي صديقه فهد بل صار في الكثير من الأحيان يبيت معه في الأيام التي يضطرا فيها للسهر للمذاكرة أو للنقاش.

ولكن وبينما كان فيصل عائدًا من مدرسته ذات يوم، إذا به يشاهد سيارة شرطة تسير وراءه، فلفت نظره أن السيارة تسير ببطء، فشك أنها تتبع خطواته واتجاهه هو، فانتابته ريبة في الأمر.. ولم يلبث أن تأكدت ظنونه، عندما توقفت السيارة بالقرب منه، ونزل منها أحد الضباط، وبادره قائلا :

هل أنت فيصل التلميذ بالصف الأول في مدرسة نور العلم الثانوية؟

فلما أجابه فيصل في دهشة :

نعم.

فوجئ بالضابط يقبض علي يده بقوة وهو يقول: أدخل السيارة دون أن تحدث صوتًا.

فارتجفت كل أعضاء فيصل من فرط المفاجأة وسأل الضابط وهو لا يصدق:

لماذا؟ ماذا حدث؟

قال الضابط وهو يحاول إدخاله السيارة بالقوة:

لأنك متهم بالسرقة.

فكاد فيصل يقع مغشيًا عليه.

انتابت فيصل حالة من الذهول الشديد، وتساءل بعد أن دخل سيارة الشرطة التي انطلق بها السائق:

معقولة.. سرقة.. إنني لم أحصل شيئًا بعد من أحد.. فكيف تتهموني بالسرقة.

لم يجب الضابط في بداية الأمر، بل ظل صامتًا لعدة دقائق. إلي أن وصلت السيارة إلى مركز الشرطة، ولكنه متى دخل مكتبه واصطحب خلفه فيصل، بادر قائلا لفيصل بلهجة لا تخلو من الشك والاتهام.

لقد سُرق اليوم من السيد علي السرجاني خمسون ألف جنيه مصري، بالإضافة إلي ساعة من الذهب الخالص، وقد قام بعمل محضر بذلك صباح اليوم.

فتضاعفت دهشة فيصل، وقال وهو لا يصدق:

وما علاقتي بما حدث؟ فهل اتهمني هو بذلك؟!

التفت إليه الضابط وجعل يحدق فيه للحظات، ثم قال له بلهجة تضاعفت فها نبرة الاتهام:

لا داعي للإنكار يا ولد.. فأنت الوحيد الذي تتردد دائمًا علي شقة الأستاذ السرجاني لزيارة قريبه فهد الذي

يقيم معه.

قال ذلك ونظر إلي فيصل من طرف عينه، وجعل يراقب أسارير وجهه وما انتابه من تغيير، ثم أردف قائلا بنفس لهجة الاتهام:

وتعرف بالتأكيد أين يضع نقوده ويحفظ ممتلكاته الرفيعة.

فلما شاهد تعبيرات وجه فيصل والتي لا تنم إلا عن الدهشة، ولم يبد شيئًا يفيد باتهامه، قال:

لا تخش شيئًا يا بني فإني أعدك بعدم ترحليك للنيابة بل ولن أثبت عليك شيئًا في المحضر لو قمت بإعادة ما سرقته من الرجل.

وسكت قليلا وراح يحدق في وجه فيصل ثم قال مشجعًا في اغراءه:

لا تخف فأنا رئيس المباحث بالمنطقة وأملك السلطة في تبرئتك من التهمة لو رجعت المبلغ إلا أنه في هذه اللحظة سمع رئيس المباحث طرق علي الباب، ودخل الشرطي الذي يقف أمام مكتبه، وأخبره بأن الأستاذ علي السرجاني منتظرًا بالخارج ويطلب مقابلته في أمر هام وعاجل.

ولم ينتظر السرجاني من رئيس المباحث بأن يسمح له بالدخول، بل اندفع وبادر رئيس المباحث قائلا : لا تؤاخذني لدخولي هكذا يا حضرة الضابط. فلقد جئت مسرعًا عندما علمت من فهد قريبي أن سيارة شرطة سارت خلف فيصل لمدة، ثم نزلت سيادتك منها وصحبته معك، فأدركت علي الفور أنك وجهت إليه الاتهام بالسرقة.

كان رئيس المباحث يستمع إليه، ويجيل النظر بين فيصل الذي كان يقف وما زالت علامات الذهول تغشى قسمات وجهه، وبين الأستاذ السرجاني.

واصل السرجاني كلامه قائلا :

وهذا الابن بريء من تهمة السرقة يا سيدي، فسأله رئيس المباحث في ريبة :

وكيف عرفت؟

هز السرجاني رأسه وقال مؤكدًا :

لأن هذا المبلغ كان موجوداً في حوزتي حتى مساء الأمس، ولم يزرني فيصل في هذا الوقت، وقد ذهب هو في الصباح إلي المدرسة.. وزملاؤه جميعها يشهدون بأنه كان في المدرسة، ومنهم قريبي فهد، وسكت لحظة، ثم أردف قائلا

في تأكيد: فكيف تحدث منه السرقة وهو في المدرسة؟
فتنفس فيصل الصعداء أخيراً، بعدما أنقذه الأستاذ السرجاني، والذي قال معتذر لفيصل وهم يغادرون غرفة رئيس المباحث:
لم يخطر ببالي يا بني أنهم سيتهمونك أنت بذلك؟
ولم يمر يومان فقط علي هذا الحادث، حتى بدأت أعداد كبيرة من الأسر في إيداع الرسوم الخاصة باشتراك التليفزيون بخزينة المدرسة فكان الأستاذ مؤنس بين حين وآخر ينادي علي فيصل أثناء تواجده في الفصل، ليستأذن من مدرس الحصة، ليقوم بتحصيل الأموال.. ولكن وبعد عدة أيام أخرى تضاعفت أعداد الأسر التي تفد علي المدرسة لسداد الاشتراكات.. حتى صار في كل يوم ما يقرب من مائتي أسرة تقوم بالسداد، فلما لا حظ مدير المدرسة مدى الإقبال الهائل في الناس علي سداد الاشتراك، نادي فيصل، وطلب منه أن يختار مجموعة من زملائه بالمدرسة لمشاركته فى تحصيل الرسوم، ولكن بشرط أن لا يعرف أحدهم الرقم السري للخزينة -الشفرة- لأنها مسئولية فيصل فقط.. فتطوع عشرون

تلميذًا للتحصيل ومنح كل مشترك إيصالا بذلك.. ولكن هذا العدد من المحصلين لم يستطع أن يغطي كم الرسوم المقدمة، فاضطر فيصل إلي مضاعفة هذا العدد من الزملاء.

وكان الأستاذ مؤنس الجميل سكرتير المدرسة، كلما شاهد ذلك، يقول في حسرة هو لا يصدق:

معقولة؟ مجموعة من الأولاد يقومون يوميًا بتحصيل ما يقرب من نصف مليون جنيه أو يزيد!

وكان فيصل في كل أسبوع يضطر إلي مضاعفة عدد الزملاء الذين يقومون بالتحصيل في أقل من ثلاثة أشهر، حتى فوجئ فيصل بأن عدد الأسر التي سددت الاشتراكات قد تجاوز الأربعمائة ألف أسرة!!

فلما علم مدير المدرسة بهذا الأمر، قال علي الفور: إنه لابد من إيداع هذه الأموال بالبنك بعد القيام بعمل الجرد.. فقام المائة تلميذ الذين يقومون بالتحصيل بجرد الخزينة الهائلة الحجة لعدة أيام وهي مفتوحة، حتى لا يعرف أحد منهم أسرار فتحها.. وبعد خمسة أيام بأكملها، أسفرت نتيجة الجرد عن وجود اثنتين وأربعين مليون

جنيه بالتمام والكمال.

فشهق فيصل وقال في هلع:

يا له من مبلغ هائل معقول! يوجد في الخزينة هذا المبلغ وتحت مسئوليتي!

فلما اخطر فيصل الأستاذ السرجاني بخبر وجود هذا المبلغ الهائل بالخزينة في عهدته، ظهرت علامات الدهشة علي وجهه، وقال في خوف:

إنه مبلغ كبير جدًا.. فلابد من فتح حساب بالبنك يا فيصل باسمك وبأقصى سرعة، فما عليك سوى الذهاب معي غدًا الثلاثاء لكي نفتح حساب باسمك، فأنا لدي معارف عديدين، وسيساعدوننا بسرعة في فتح الحساب بالبنك هنا بالمدينة، ولن احتاج منك سوى جواز سفرك يا بني.

كان كل هم فيصل تأمين نفسه من هذه المسئولية الملقاة علي عاتقه، فقال في قلق بالغ: المهم إننا الآن في ورطة يا عم السرجاني فأنا أضع يدي علي قلبي دائمًا من فرط الخوف من هذه المسئولية منذ أن تسلمتها.

وعلي الفور أسرع فيصل إلي غرفته بمساكن الطلبة،

وأخرج جواز سفره من خزينة ملابسه، وقام بتقديمه للأستاذ السرجاني، وهو يطلب منه في رجاء أن يسارع بإجراءات فتح الحساب.

بيد أنه وفي صباح اليوم التالي، وعندما دخل فيصل الفصل ليسأل فهد إن كان قريبه السرجاني قد بادر بالذهاب إلي البنك، لكنه فوجئ بأن فهدًا غير موجود بالفصل فجلس فيصل وهو في حيرة شديدة، لم يستطع معها أن يفهم شيئًا مما يقوله الدرس. كان كل همه أن يحضر فهد ويخبره بما تم، فلما التفت إلي التلميذ الذي يجلس بجانبه وسأله إن كان قد شاهد فهد اليوم، فقال التلميذ إن أحد أقارب فهد ويدعي السرجاني قد اتصل مبكراً بإدارة المدرسة وأبلغهم بأنه مضطرًا للسفر إلي مدينة الغردقة.

فانتفض فيصل قائمًا، وأسرع بين دهشة المدرس والتلاميذ، بمغادرة الفصل متجهًا إلي غرفة مدير المدرسة، فلما لم يجده، أخبرته سكرتيرة مكتبه بأن الأستاذ علي السرجاني، اتصل بها ليستأذن في إجازة لقريبة فهد ثلاثة أيام، سيقضيها بإحدى القرى السياحية بالغردقة،

لأن القرية محجوزة بعد هذه المدة لشهرين قادمين، وإنه إذا لم يحضر في ميعاده والذي يبدأ من اليوم -الثلاثاء- فستضيع عليه قيمة حجز الثلاثة أيام، لذلك لم يكن أمامه بدا من السفر.

فشعر فيصل بضيق شديد من هذا الغياب المفاجئ، وخاصة أن جوز السفر مع الأستاذ السرجاني، مما يجعله لا يستطيع فتح حسابًا بأي شكل إلا بعد عودته.. فاضطر إلي الانتظار وهو علي هذه الحال من الرعب والخوف.

وفي آخر اليوم وصلت مكالمة علي تليفونه المحمول من الغردقة.. كان المتحدث هو فهد.. يعتذر للأمر الطارئ الذي حدث، لدرجة أنه سافر وهو يحمل معه كل كتبه ليذاكر في القرية، ولم يمر علي مكالمة فهد سوي ساعتين، حتى اتصل الأستاذ السرجاني واعتذر له عن اضطراره المفاجئ للسفر.. وأنه فور عودته سوف يستكمل إجراءات فتح الحساب، وهو أمر لن يأخذ أكثر من يوم فقط.

فعاش فيصل والقلق يكاد يفترسه وكان في صباح كل يوم يضطر إلي الدخول إلي الغرفة التي توجد بها الخزينة، ليلقي نظرة عليها، ثم لا يلبث أن يعود آخر اليوم ليلقي

نظرة أخرى..

إلا أنه وبالرغم من كل هذه الاحتياطات، فإنه عندما دخل ليطمئن علي الخزينة في صباح اليوم التالي، وما كاد يفتحها، حتى تسمر في مكانه تمامًا، وأطلق صرخة مرعبة وندت عنه عبارة واحدة يا إلهي لقد سرقت الخزينة بالكامل!! وسقط علي الأرض مغشيًا عليه...

كان وقع الخبر علي هادية بمثابة الصاعقة، فأصيبت بحالة من الذهول الشديد، لدرجة أن تليفونها المحمول وقع من يدها رغمًا عنها.. فلما شاهدت ذلك لمياء، والتي كانت ترقد علي السرير المجاور حتى انتفضت من مكانها، وأسرعت إلي هادية، وبذلت جهدًا خارقًا لتعرف ماذا حدث؟ وما هي طبيعة المكالمة التسي سمعتها هادية علي تليفونها المحمول والتي أصابتها بهذا الذهول.

وبعد محاولات عديدة، استطاعت لمياء إخراج هادية من ذهولها.. فغمغمت هادية وهي لا تصدق:

تصوري.. فيصل شقيق!

سألتها لمياء وقد تضاعفت لهفتها:

ماذا حدث؟

كان واضحًا علي هادية كأنها تعاني من كابوس مخيف، وقالت وسط أنفاسها اللاهثة.. إنني لا أصدق فيصل شقيقي اتصل من مركز شرطة المدينة وأبلغني بأنه قد حدثت له حادثة سرقة.

فلما تبادر إلي لمياء أن الأمر لا يعدو مجرد حادث سرقة،



لقد قبض على أخي فيصل بتهمة السرقة

حاولت أن تهدئ من ثائرة هادية، فقالت مهونة الأمر:
حادثة سرقة.. ولماذا كل هذا الهلع؟
ولكنها فوجئت بهادية تقول:
ولكن الذي سرق منه ليس بالأمر العادي أبدًا.. فهو مبلغ اثنين وأربعين مليون جنيه مصري.
فشهقت لمياء وصاحت في جزع:
ماذا تقولين معقولة:
ولما روت لها هادية قصة السرقة، أسرعت لمياء واتصلت علي الفوز بزملائها حمدي ووليد وطلال وجاسر، فأقبلوا علي الفور، ولما استمعوا منها إلي ما حدث، أصيبوا جميعًا بذهول لفترة.
علق جاسر في ضيق شديد:
وكيف يحملون فتى صغيراً مثل فيصل - الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره - مسئولية تحصيل وحراسة مثل هذا المبلغ الضخم.
غمغم حمدي في غضب وندم:
وللأسف فاليوم علي وجه الخصوص هو أهم يوم حيث يوجد اختبار شفهي، سيحول دون سفري الآن إلي المدينة

الجديدة لنعرف الأمر.

قال طلال:

نسافر فور الانتهاء من الاختبار.

فما كاد الجميع يجتازون الاختبار الشفهي، حتى سارعوا جميعًا بركوب سيارة حمدي، الذي راح يقودها بسرعة هائلة، فلم يمض إلا ساعة واحدة .. حتى كانت السيارة تقف أمام مركز الشرطة بالمدينة الجديدة.

غادرت هادية السيارة بسرعة، وهرعت إلي داخل المركز، وفي أثرها أسرعت لمياء وباقي الأصدقاء، فلما لمحت هادية شقيقها فيصل، جعلت تناديه من بعيد، فخف إلي لقائها بسرعة، وقال وهو يعانقها بكلمات تخرج وسط تنهداته المتسارعة:

أختي أنقذيني إنني في مصيبة!

ورغم جزع هادية الشديد، لكنها قالت وهي تعانقه بشدة، وتحاول كف دموعها التي انهمرت بغزارة:

لا تخش شيئًا يا حبيبي لا تخش شيئًا وكان الأصدقاء جميعًا قد أقبلوا، وجعلوا يستمعون لما حدث من فيصل بصعوبة شديدة، فقد كانت كلماته تختلط بأنفاسه

اللاهثة، ويرتجف معها كل جسده وهو يتحدث.

وراح الجميع يفكر في الأمر ولكن بادر حمدي قائلا :

إن الأمر يقتضي وجود محام، ليقوم بسرعة الإفراج عن فيصل ويتابع التحقيقات.

وسارع بالاتصال بالأستاذ عادل الطحلاوي محامي أسرته، ليخبره بالأمر، ويرجوه الحضور إلي النيابة، حيث سيرحل فيصل إلي هناك. وكان رئيس المباحث في المنطقة قد عاين المكان الذي حدثت فيه السرقة.. وشاهد وعاين بدقة هو ورجاله الخزينة الهائلة الحجم التي تمت سرقة كل محتوياتها فأيقن الجميع لتوهم، أن السرقة تمت بأن فتح السارق الخزينة بمفتاح وهذا يعني أنه يعرف أرقامها السرية تمامًا!

وبسؤال رئيس المباحث لبقية التلاميذ الذي قاموا بتحصيل الاشتراكات، أفادوا جميعًا بأنهم كانوا يحصلون المبالغ من المشتركين ويعطونهم إيصالات تفيد الاستلام، ولكنهم يعطون المبالغ لفيصل.. وأحيانا أخرى يسلمونها للأستاذ مؤنس الجميل سكرتير المدرسة، فهما اللذان يقومان بإيداع الأموال بالخزينة بعد أن ينصرف

الأولاد.

وكانت كلمات التلاميذ كما بينها رئيس المباحث كلها تنم عن الحقيقة، حيث كان يسأل كل تلميذ علي حدا، فيجبه كل منهم بتلقائية ولا يختلف فيما يقوله عما يقوله الآخرون، ولكن الأمر الذي جعله يحتار هو ما حدث من فراش المدرسة، والذي كان مكلفًا بالحراسة في اليوم الذي حدثت فيه السرقة.. فقد قال الفراش: إن رجلا عجوزًا أبيض الشعر محني الظهر يسير متكئًا علي عصا ويرتدي نظارة سوداء تغطي وجهه.. قد اقترب هذا الرجل العجوز من الفراش وسأله عن الأستاذ مؤنس الجميل، فلما أخبره الفراش بأن الأستاذ مؤنس غادر المدرسة آخر اليوم، طلب منه الرجل عنوان منزله.. ولما وصف له الفراش المكان بدقة، شكره الرجل وصار في صعوبة حتى غاب عن ناظريه، ولكنه لم يلبث أن عاد بعد مدة قصيرة، وقال في ضيق وهو يرتجف: يا بني لقد ذهبت إلي البيت، ولكن قالت زوجة الأستاذ مؤنس إنه لم يأت بعد فهو ما يزال بالمدرسة، فأصيب الفراش بضيق وأخبر الرجل العجوز أنه شاهد الأستاذ مؤنس بعينه وهو

يغادر المدرسة.
دمدم العجوز قائلا بلهجة استعطاف شديدة:
يا بني إنني لا أستطيع الذهاب إلي منزله مرة أخري، لأنه فعلا واعدني هنا بالمدرسة فمن المؤكد أنه خرج في حاجة وسرعان ما يعود حسب موعده للقائي هنا..
فلما رأي الفراش الرجل العجوز يرتجف ويلهث من التعب، اضطر أن يحضر له مقعدًا من داخل المدرسة ليجلس ويرتاح.. وما أن جلس الرجل علي المقعد، طلب من الفراش في استعطاف أن يذهب ليشتري له طعامًا من أقرب مكان، لأنه لا يستطيع أن يتناول الدواء دون أن يملأ معدته.
فغادر الفراش المكان وهو علي مضض، ولكنه ما إن عاد حتى أعطاه العجوز جنيهًا كاملا مكافأة، فانفرجت أسارير الفراش، وأسرع - بطلب العجوز - بإحضار صينية ليضع عليها الطعام، ففوجئ بالعجوز يبادره قائلا وهو يقدم له زجاجة مثلجة:
خذ يا بني اشرب أنت.. فأنا تذكرت أن الدكتور منعني من شربها، فهي خطر علي..
فلما تناولها الفراش لم يشعر بشيء ولم ينتبه إلا

علي صوت الجلبة التي أحدثها الناس والتلاميذ الذين توافدوا من كل مكان علي صياح فيصل وسمع همهمة تفيد بأن الخزينة سرقت..

فكر رئيس المباحث في الأمر لمدة.. وبالرغم من أن صاحب المطعم قد شهد بأن الفراش قد جاءه واشترى منه طعاماً في نفس الساعة التي ذكرها الفراش، وأن الفراش كان يحاول أن يتخطى دور جميع الزبائن لاستعجاله، وأيده في ذلك أحد السكان وقال: إنه تنازل عن دوره في أولوية الشراء عندما لاحظ إلحاح الفراش.

وبعد أن فكر رئيس المباحث في الأمر كأنه شك في أن يكون هذا الأمر متفقًا عليه بين الفراش والسارق.. ففي الكثير من الأحيان يحاول المجرم أن يفتعل معركة مع أي فرد في غيرمكان الجريمة، ليشهد الناس الذين حضروها بأنه لم يكن حاضرًا في مكان الجريمة ساعة وقوعها.

ولكن ما إن مضت ثلاثة أيام.. حتى فوجئ الناس والتلاميذ في المدرسة، بالفراش يجري نحو رجل عجوز ويمسك بخناقة بشدة، وهو يصيح بأعلى صوته: هذا هو الرجل.. إنه العجوز المجرم الذي سرق الخزينة وهرب!!

التف الناس حول الفراش والرجل العجوز وهم لا يصدقون أن رجلا في هذا العمر ويكون هو السارق، وبينما هم في دهشتهم فوجئوا جميعًا بالأرض تنشق عن وجود سيارة شرطة تقترب من المعركة والازدحام ويخرج منها علي الفور رئيس المباحث، ويأخذ العجوز الذي أسرع ودخل السيارة.

ولم يتصور الفراش ولا أحد من الناس أن الرجل العجوز هذا هو أحد رجال المباحث!

فمنذ أن وصف الفراش الرجل العجوز لرئيس المباحث سارع في طلب خبير في الرسم ليقوم برسم صورة للعجوز المجرم من خلال الأوصاف التي أدلي بها الفراش.. وبعد أن توصل الرجل إلي الصورة، قال الفراش وهو لا يصدق: إنها تشبهه وتكاد أن تكون صورته لولا أنني رأيتك وأنت ترسمها أمامي.

وبعد انصراف الفراش طلب رئيس المباحث من خبير التنكر عمل قناع لوجه وشعر علي نفس الصورة التي رسمها الرسام للعجوز ثم بعث أحد رجاله وطلب منه

التنكر في الوجه والشعر المستعار فتنكر الرجل علي نفس الصورة التي قام برسمها الرسام، ودخل الرجل في سيارة الشرطة، ولم ينس رئيس المباحث أن يعطيه عصا وطلب منه أن يسير بها ويتوكأ عليها ثم نزل الشرطي المتنكر في مكان قريب من المدرسة، وسار حتى أصبح أمامها، فلما شهده الفراش وهجم عليه أيقن رئيس المباحث بذلك أن البواب بريء، فلو كان علي صله بالرجل لقام بالحديث معه أو طلب منه الابتعاد عن المكان.

فصارت كل أصابع الاتهام التي توصل إليها رئيس المباحث تشير إلي فيصل، لأنه صاحب فكرة القنوات التلفزيونية الخاصة، وهو الذي حصل الأموال من الأهالي ويعرف شفرة الخزينة.. ولكن كان الأمر الذي يبعث علي الحيرة، أن فيصلا هذا صغير جدًا فكيف يتسنى له تدبير مثل هذه الجريمة، ولكنه سرعان ما خطر ببال رئيس المباحث فجأة البلاغ الذي تلقاه بسرقة خمسة ألف جنيه وساعة ذهبيه من الأستاذ السرجاني السوري الجنسية والذي يعيش في مصر منذ عشرات السنين، وتذكر أن للرجل قريب هو فهد.. الأمر الذي اضطر رئيس المباحث لإطلاق

سراح فيصل بالرغم من أن دفاع السرجاني يعتبر دليلا علي براءه فيصل، فالأمر لا يعدو مجرد شهامة من الرجل والذي يشعر تجاه فيصل وكأنه كان سببًا فى اتهامه..
والثاني وهو مؤنس الجميل سكرتير المدرسة، فكل الدلائل تشير إلي أنه الوحيد الذي يعرف أرقام الخزينة وكيفية فتحها. والأمر المحير هو غيابه الشديد المفاجئ ساعة وقوع الجريمة.. ووقت التحقيق حيث لم يكن متواجدًا في منزله في يوم حادث السرقة، ولذلك أرسل أحد رجال المباحث للبحث عنه في جميع أنحاء المدينة.. ولكنه لم يظهر.. حتى زوجته وابنته قالوا جميعًا في دهشة: إنهم لم يتعودوا علي غيابه المفاجئ هذا، مما اضطر رجال المباحث إلي السؤال عنه في جميع المستشفيات بالمدينة بل والمدن المجاورة.
وكان الأستاذ السرجاني قد عاد من سفره ومصطحبًا فهد، فلما علم بالخبر، أصيب بذهول شديد، وجعل يؤنب نفسه ويوبخها ولا يفتأ يقول بين حين وآخر في حسرة شديدة:
أنا السبب.. لو لم أذهب للنزهة وأؤجل فتح الحساب،

لما حدث.. هذا الأمر جعل رئيس الباحث يشك فهو، لا يأخذ الأمور علي علاتها فمجرد نسبة صغيرة من الشك في فرد تجعله لا يهدأ حتى يستقر علي الحقيقة، فاتصل بأحد زملائه بشرطة السياحة ليسأل إذا كان الأستاذ السرجاني كان موجودًا فعلا هو وفهد بالقرية السياحية التي بالغردقة في هذا الوقت.. فلم تمر إلا بضع ساعات فقط حتى اتصل به زميله من القرية السياحية بالغردقة وأخطره بأن الأستاذ السرجاني هذا كان موجودًا طوال الأربعة أيام فقد كان إما دائما السباحة في البحر، أو الجلوس في الكافيتيريا الملحقة بالقرية.. ويحرص هو وقريبه علي تناول وجبات الطعام في أوقاتها.. بل شاهد أحد العاملين بسنترال التليفون بالقرية أنه سمع الأستاذ السرجاني وهو يتحدث ويعتذر لشخص.. وقد وقع في أذنه اسمه فيصل.

فتبين بذلك لرئيس المباحث أن الأستاذ السرجاني بعيد تماما عن الشبهات.

وكان السرجاني قد تعرف من فيصل علي شقيقته هادية، فاقترب منها وقال في لهجة مواساة وندم:

سامحيني يا ابنتي لاضطراري إلي السفر فجأة، فقد كنت قد حجزت غرفة هناك منذ مدة، واتصلت بي إدارة الفندق واخبروني بأن الفندق سيكون مشغولا بالكامل في الفترة القادمة لمدة شهر فلم يكن هناك بد من السفر، لدرجة أنني طلبت من فهد أن يحمل معه الكتب ليذاكر هناك ويستعد للامتحان والذي كان موعده فور اليوم التالي لعودتنا.

وسكت، وهز رأسه في أسى وقال: فلم أتصور أبدًا أن تحدث هذه السرقة بين يوم وليلة، فقال فيصل لشقيقته وهو متأثر بحديث السرجاني:

تصوري يا أختي أن عمو السرجاني قد سُرق منه خمسون ألف جنيه وساعة ذهبية، فاتهمتني الشرطة بالسرقة، ولكنه أسرع وأنقذني.

فتأثرت هادية بموقف الأستاذ السرجاني، وشرعت في أن تشكره، ولكنه أشار بيده معترضًا وهو يقول: لا يا ابنتي أن ما فعلته هو ما يجب أن يفعله أي فرد فكيف أتهم شقيقك بشيء لم يفعله.

وكان رجال المباحث في هذا الوقت منتشرون في كل مكان

بالمدينة، وقد مرت عدة أيام، ولم يظهر فيها السكرتير المختفي.

فصاح أحد الضباط في ثقة وتأكيد:

لقد فعلها السكرتير وهرب..

أشارت كل الدلائل إلي أن مؤنس الجميل سكرتير المدرسة هو الوحيد الذي يعرف أرقام الخزينة وكيفية فتحها مثل فيصل، كما أن اختفائه يؤكد كل الظنون علي أنه الجاني.. ولكن الأمر الذي حير رئيس المباحث أنه بعدما استطاع الحصول علي كل البيانات الخاصة بالسكرتير مؤنس وبصحيفة سوابقه، وبسؤال زملائه ورؤسائه في المدرسة التي كان يعمل بها في القاهرة، كانت الإجابات كلها تقر بأنه رجلا شريفًا، فلم تحدث عنه ولو مجرد مخالفة مالية واحدة أثناء عمله طوال هذه السنين.

كما أن المعلومات التي استطاع الحصول عليها كلها تفيد تمامًا بأن مؤنس هذا رجل ليست له تطلعات، فهو من الأشخاص الذين يقال عنهم طبقا للمثل الشائع "من الذي يمشون إلي جانب الحائط".. فالرجل لديه ابنتان، الكبرى طالبة في الثانوية العامة، والأخرى في المرحلة

الإعدادية، ومن حرصه وخوفه عليهما كان يصحبها في الصباح إلي المدرسة قبل أن يذهب إلي عمله.. الأمر الذي جعل البنتين معروفات فى القرية بين جميع زملائهما.. فهو يتعامل معهما بحرص وخوف وكأنهما في مرحلة الحضانة.

وهو يعيش في منزله الصغير عيشة وادعه، بل مثالا للمعيشة الوداعة، فالمنزل محاط بحديقة صغيرة، لا تتعدى مساحتها بضعة أمتار، وقد حصل عليه من مجلس المدينة، شأنه في ذلك شأن جميع العاملين بالمدينة، وهو لم يزرع الحديقة مثل الجميع بالأزهار، ولكنه ذرعها بالخضراوات: ملوخية وطماطم وبقدونس وبامية وخيار وباذنجان ليدبر لنفسه الخضراوات.. وزوجته تحذو حذوه تمامًا فهي ربة منزل، وتشارك زوجها في مهام المنزل وتدبير احتياجاتها، فتقوم بتربية الدجاج والأرانب والبط في حظيرة صغيرة بالحديقة.. أما في المساء، فتعكف على مساعدة ابنتها الصغيرة في دروسها.. وإذا عاد الأب من عمله، يكاد لا ينام إلا ساعة واحدة، ولا يلبث أن يستيقظ ليقوم بعمل دائم في المنزل، ثم يقوم بمعاونة

ابنته الكبرى في شرح دروسها.. حتى أيام الإجازات..
كانت الجيران كلها تشاهده في الحديقة وهو يروي الزرع بالتنقيط ويهذب أوراق النباتات.

كان الحادث الخطير قد هز المدينة بأكملها، فأشار الناس جميعًا ضد فيصل والسكرتير حيث شعر كل منهم أنهما قد سرقا ما سددته مدينة بأكملها.. من خلال حيلة دنيئة.. فانتشرت الشائعات بأن الفتى الصغير فيصل هو الذي دبر هذا الحادث مع سكرتير المدرسة وأن السكرتير قد اختفي تاركًا زوجته وابنته حتى يدبر لهم جميعًا طريقة للهروب إلي دولة أخري.. ومن المؤكد أنه سيضع مبلغ باسم شريكه فيصل في أحد البنوك بالخارج.

وكان عادل الطحلاوي محامي أسرة الحاج فاضل قد وصل بعد جهد شديد، واستطاع أن يخرج فيصل بكفالة لحين استكمال التحقيق.. فلما اجتمع الجميع حول المحامي بادرهم قائلا:

إن الأمر قد صار واضح فالسكرتير اختلس المبلغ لأنه ضخم جدًا.. اثنين وأربعين مليون جنيه أغراه بارتكاب هذه الجريمة وفر هاربًا.

وسكت فجأة، وجعل يفكر للحظات، ثم غمغم قائلا : ومن المؤكد أنه سيرسل إلي زوجته وابنتيه ليقابلونه في المكان المختفي فيه، أو ربما ينتقلون إلي مكان بعيد عن أعين الشرطة.. ولذلك فإن الأمر قد كان واضحًا تمامًا لرجال المباحث.

فبدا على الجميع نظرات الارتياح بقرب إنهاء المشكلة إن المحامي قال محذرًا :

ولكن..

فسألته هادية في لهفة :

ولكن ماذا يا عمو؟

أجاب المحامي بلهجة تحذير :

ولكن للأسف في حالة عدم العثور علي السكرتير، ستظل التهمة لصيقة بشقيقك يا هادية لأن القبض علي السكرتير سيجعله يعترف أما لو لم يتم القبض عليه، فسيظل الأمر خطيراً بالنسبة لفيصل، فشعرت هادية بجزع شديد علي شقيقها الصغير، فقالت لمياء :

للأسف إننا بذلك نشعر وكأننا مكتوفي الأيدي، فالبحث عن مجرم مثل هذا السكرتير المختفي في مصر بأكملها

عمل أكبر من إمكانياتنا.

أردف طلال موافقًا لمياء فيما قالته:

الأكثر من هذا أن الدراسة في الجامعة في الفترة القادمة تقتضي منا الدخول في اختبارات عديدة بين شفهي وعملي.

فازداد هلع هادية علي شقيقها، وشعرت أن الدنيا تميد تحت قدمها، الظروف قد تكاتفت ضده، فندت عنها شبه صرخة وهي تقول وما ذنبه.. إنه يستطيع!

فالتفت إليها طلال، وقال:

يا هادية لا تتصوري أننا نقصد بذلك التخلي عنك، بل كل ما في الأمر أن الموضوع قد حدث في وقت حرج.. أردف طلال قائلا:

وهذا يعني أننا يجب أن نتحرك في وقت وجيز بالمدينة، وقد حاول كل منهم أن يبدو طبيعيًا حتى يضفي علي الجميع إحساسًا بالثقة وعدم وجود خطر ولكن كان كل منهم أثناء الطعام مستغرقًا في التفكير في أى أمر يؤدي إلي خيط يصل إلي الحل.. بادرت لمياء قائلة:

اسمعوا يا جماعة، لقد وقعت لنا أحداث عديدة،

واستطعنا أن نتغلب عليها بالتفكير، وليس من الصواب الحركة والانتقال.

فتوقف جاسر عن تناول الطعام الذي في يده، وسألها في حيرة:

ماذا تقصدين؟

لمياء:

أقصد أن معظم الوقت في البحث عن المجرم هو نتيجة للتفكير أما الحركة والجهد العضلي فهو قد يأخذ وقتا أقل، وتوقفت لثوان، لتمضغ الطعام الذي في فمها، وأردفت قائلة: فنحن ممكن أن نشارك بالتفكير وهذا كل ما نملك، أما الحركة والوقت فنحن لا نملكها فلا وقت لدينا للفعل، وليس في إمكانياتنا الحركة بين أرجاء المدينة.

فتدخل طلال قائلا:

لقد وضعت يدك يا لمياء على نقطة خطيرة حيث ألهمتني بفكرة طرأت علي بالي فورًا. ثم قال في حماس:

لقد كنا في معظم مغامراتنا في البحث عن المجرمين، مضطرين للحركة والبحث بأنفسنا.. كانت كل الظروف تقتضي منا ذلك، لأن الشرطة في معظم هذه الأحوال

كانت غير مقتنعة بوجود جريمة، وجعل يجيل النظر بين الجميع، ففطنت هادية إلي ما يقصده، فقالت مكملة لحديثه:

فعلا أم الآن، فالشرطة مثلنا مقتنعة تمامًا بأن المجرم هو السكرتير، والمهمة كلها بخصوص البحث عنه، لأنه وكما قال المحامي الأستاذ عادل الطحلاوي سيعترف علي نفسه، وبذلك تظهر براءة فيصل من التهمة الملصقة به.

قال جاسر بعد استعراض الأمر:

يعني دورنا هنا مكملا لشق الفكر مع رجال المباحث.. صمت الجميع.. وكانوا قد شعروا بأنهم وضعوا أيديهم علي أول الطريق فتفتحت شهيتهم للطعام، فأقبلوا علي الأطباق التي أمامهم وجعلوا يتناولوا ما عليها في نهم شديد.. حتى هادية، انكبت علي ما أمامها من طعام وجعلت تأكل بشهية عالية..

إلا إنهم متى غادروا المطعم وساروا لبضع دقائق علي أرجلهم، إذا بطلال يقول فجأة:

لقد وضعت يدي علي أول الخيط بالفعل فتوقف الجميع، والتفت كل منهم إليه، فقال وهو يحاول شرح فكرته:

نعم.. فبعد أن عرفنا من أقوال الشهود أن السكرتير هذا رجل يحب ابنته حبًا جمًا وهو متعلقًا بهما تعلقًا عجيبًا، ويتضح أنه لا يتم لمثل هذا الرجل الذي يحمل هذه العاطفة الجياشة أن يسافر ويتركهما لمدة طويلة، ولا حتى عدة أيام.

فراح كل منهم يفكر فيما قاله طلال، فقالت هادية مؤكدة:

فعلا لقد وضعت يدك علي أول الخيط يا طلال ولذلك فإن الحل كله سيكون من خلال خطة تراقب بها أسرته فمن المؤكد أنه سيتصل بهم.

قال وليد:

ومن يا ترى يكون علي اتصال بهم؟

فتساءل جاسر في حيرة:

وكيف يتسنى لنا مراقبتهم فيمكن أن تضع زوجته في اعتبارها مراقبة رجال المباحث لهم.. فكيف الحال ونحن الذين لا نملك من الوقت ما يمكننا من مراقبتهم.

فراح الجميع في مواصلة التفكير في هذا الخيط وكان كل منهم يفكر في خطة للمراقبة.. واستمروا في التفكير

وهم يسيرون علي أقدامهم في شوارع المدينة، حتى جعلهم عرضة لحوادث السيارات المارة.. وكلما شرع أحدهم بين حين وآخر في فكرة وأدها الآخرون في مهدها، فغالبا ما تصادف دائما صعوبة في التنفيذ.

ولكنهم متى وصلوا إلي المكان الذي توجد به سيارة حمدي، إذا به يقف فجأة ويقول في حماس شديد:

لقد عثرت علي الخطة التي ستجعلنا نقبض علي السكرتير في ظرف عدة أيام فقط.

فنظر الجميع إليه في ذهول..

بادر حمدي في شرح خطته، بينما وقف الجميع حول سيارته وهو يقول في حماس:

ما دام الرجل هذا لا يعتبر مجرمًا عتيدًا في الأجرام، بمعني أنه لا سوابق له، كما أظهرت التحقيقات.

وتوقف، فلما نقل عينه إلى الجميع، ولاحظ مدى لهفتهم لاستكمال الفكرة، أردف قائلا:

كما أنه رجلا عاطفيا وحنون جدا علي ابنتيه حسب ما عرفنا من شهادة جيرانه ومعارفه جميعا فظهرت علي وجه جاسر علامات الحيرة، فقال في نفاذ صبر:

نعم عرفنا ذلك يا حمدي ولكن ما هو الجديد؟
فقال حمدي:
خيراً.. ولذلك فإن هذا الشخص إذا شعر بأن أسرته في خطر، فلن يتكاسل في إنقاذهم بأي شكل.
قال طلال مؤمنًا علي كلامه:
لن يتواني لحظة في اللقاء..
ولكن قالت هادية معترضة:
لا شك أنه سيفعل أي شيء لإنقاذهم، ولكن لا يضحي بنفسه، ممكن جدًا أن يرسل أحد من معارفه ليستطلع الأمر، خاصة أنه وكما عرفنا لا يوجد لدي أسرته تليفون محمول، أو حتى تليفون عادي، كما أسفرت تحريات رجال المباحث.
فواصل حمدي حديثه قائلا:
عظيم فلو وصل هذا الرجل خبر بأن أحد ابنتيه وخاصة الصغرى مريضة، وتحتاج إلي إجراء عملية جراحية عاجلة وإلا ستموت.
فلما توقف ليقرأ علي وجود الجميع مدى استيعاب الفكرة، إذا وليد يصيح قائلا في حماس:

فكرة رائعة يا حمدي فهنا ستتحرك العاطفة في أي أب حتى لو كان غليظ القلب، فما بالنا برجل علي هذا القدر الكبير من الحنان فكل الملايين من الجنيات لن تهمه في هذه الحال في شيء.

هز جاسر رأسه، وأردف:

فسيرضخ ويعود بسرعة ليسلم نفسه قالت هادية:

ولكن هناك احتمال آخر يجب أن نضعه في الحسبان وتوقفت، فلما نظر الجميع إليها في حيرة، أردفت قائلة:

فربما يرسل هذا الرجل أحد من طرفه ليخطفها، ويأخذها ليعالجها عن طريقه هو بأي مستشفي.

ففطن طلال إلي رأي هادية، فهز رأسه مؤكدًا، ثم قال في حماس:

فعلا هذا رأي يجب أن نضعه في الحسبان.. تدخلت لمياء قائلة:

نخلص من ذلك أنه في هذه الحالة لن يكون أمامه سوي خيارين لا ثالث لهما، إما الإذعان للأمر الواقع وتسليم نفسه للشرطة، لكى تسمح له بعلاج ابنته، أو يرسل شخصًا من طرفه.

وهزت رأسها وأردفت في لهجة حاسمة:

وهنا يكون دورنا أن ننتظر هذا الشخص المرسل من طرفه، فيتم، القبض عليه وتسليمه للشرطة، فيستطيعوا إكراهه بالقوة علي أن يدلهم علي المكان الذي يختفي فيه السكرتير.

قال جاسر وقد شعر براحة مشوبة بالإعجاب الشديد:

يالها من خطة، بيد أن وليد تساءل بعد تفكير سريع:

الخطة كلها رائعة ولكن..

فالتفت إليه الجميع، ونظروا إليه في قلق، فاستطرد قائلا:

ولكن كيف تطلق هذه الشائعات لكي تصل إليه؟

تدخل جاسر بسرعة قائلا:

الرجل في مصر فتحريات المباحث أثبتت أنه لم يغادرها ومن المؤكد أن رجلا علي هذا القدر من العاطفة والحنان علي ابنته يتابع أخبارهما عن طريق آخر.

بيد أنه بدا شيء لحمدي، فتساءل في قلق، ولكننا لا يمكننا الانفراد بهذا العمل، إلا من خلال اتفاقنا مع رجال المباحث لأنهم القادرين علي نشر خبر عن الفتاة ابنة

السكرتير الهارب، بإحدى الجرائد، فهو يجب أن يكون مصاغًا بشكل لا يثير شك السكرتير.

وبعد أن شرع الجميع في الذهاب إلي مكتب رئيس المباحث ليخبروه بالخطة، إذا بهادية تستوقف وهي تقول في لهجة مشوبة بالقلق والحيرة:

ولو أن هذا الرجل مجرم وهو السبب فيما حدث لأخى الحبيب لكن..

فسألتها لمياء غير مصدقة:

ولكن ماذا؟

هادية:

لكن ما ذنب الأم أو الابنة الشقيقة، فلا تتصوروا كيف سيكون تأثير هذا الخبر عليهما.

فوقف الجميع عن السير واقترح حمدي أن يذهبوا إلي إحدى الكافتيريات القريبة ليأخذوا قسطًا من الراحة، تتيح لهم التفكير، ولكن لم يكن إلا بضعة دقائق قط، حتى صاح طلال:

لقد وجدتها..

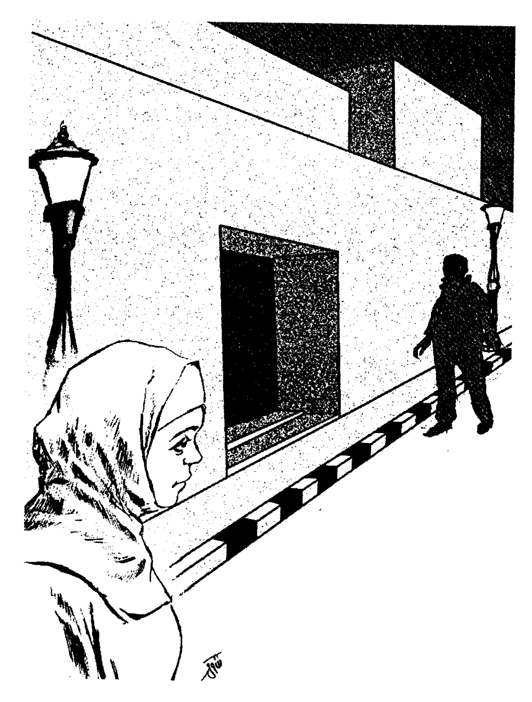
فلما التفت إليه الجميع قال:

لا يوجد أمامنا من حل سوى أن يقوم رجال المباحث باحتجاز الأم والابنتين بأى شكل، ولو كان ذلك فعلا علي ذمة التحقيق وأثناء الاحتجاز يعرفونهم بأن الأمر مجرد خطة لاصطياد الأب، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الأم أو الابنتان إخطار السكرتير بأن الأمر مجرد إشاعة.

فتحمس الجميع للفكرة، فقد شعروا أنهم بذلك قد توصلوا إلي الخطة التي سيتم بها القبض علي السكرتير المختفي، دون إحداث ضرر لأحد، فتناولوا مشروباتهم، وكل منهم يشعر وكأنه قد نجح في اختبار آخر العام.. حتى هادية، شعرت براحة شديدة جعلتها تشعر وكأن براءة شقيقها بين أيديها.

وبعد نصف ساعة، غادروا الكافيتريا وهم في حماس شديد، فلما حاولوا دخول غرفة رئيس المباحث، أخطرهم الشرطي الذي يقف أمامها بأنه ذهب في مهمة خاصة.. فلم يجدوا أمامهم شيئًا سوي التنقل في أنحاء المدينة، حتى يعود.

واستأذنت هادية في الذهاب إلي مساكن الطلبة الملحقة بالمدرسة لزيارة شقيقها فيصل.



ربما كان هذا هو السكرتير المختفى

وكان الليل قد انتصف فأصبحت المدينة هادئة تمامًا إلا من نباح بعض الكلاب الضالة، والضوء المنبعث من بعض محال الأطعمة والسيارات المارة، فرأى الجميع أنها فرصة للتجوال بالمدينة ليلا.. ولكن تركتهم لمياء، فقد خطر لها فجأة أن تقوم بزيارة خاطفة لمنزل مؤنس الجميل السكرتير، فربما تجد في المنزل ثغرة أو طريقة لتعرف بها هل يقوم السكرتير بالاتصال بأسرته دون أن يلاحظ أحد، فلما اقتربت من المنزل وجعلت تحوم حوله لعدة دقائق، استرعى نظرها من بعيد، وسط الظلام شبح رجل يحوم حول المنزل، فتساءلت في حيرة:

غريبة إن المرأة والابنتين يعيشن بمفردهن، فمن يكون هذا الرجل؟

فخطر لها أما أن يكون هذا الرجل هو السكرتير وقد جاء متخفيًا أو رسوله الذي يعطيها النقود وينقل الأخبار منها وإليه.

فعن لها أن تعود أدراجها وتسرع إلي حيث يوجد زملاؤها، ولكن فوجئت بشبح الرجل يختفي.. ثم يظهر في ركن بعيد، فحاولت التأكد من ظنها قبل أن تجري وتبلغ

زملائها أو رجال الشرطة، فربما كان شبحًا لابنته الكبرى، فقد تكون مرتدية البنطال وقصت شعرها فتبدو في هذا الظلام كشبح رجل فألفت نفسها رغمًا عنها تدخل سرداب حديقة المنزل والذي كان مفتوحًا وسارت لبضعة خطوات بداخلها. ثم توقفت، وجعلت تجيل النظر حولها في الظلام الدامس.. كان الهدوء قاتلا، ولا صوت لخطوات أحد.. إلا أنها ما كادت تسرع في التسلل هاربة مرة أخري إلي الخارج، إذا بها تسمع صوتًا مرتفعًا بالقرب منها..

قال صاحبه:

ارفعي يديك عاليًا.. لقد ضبطتك أخيراً فتسمرت ميا في مكانها في رعب

◆ ◆ ◆

عندها نظر طلال في ساعة معصمه، أدركه قلق شديد، فقد فوجئ بأن الساعة قد اقتربت من الثانية من منتصف الليل ورغم ذلك لم تأت لمياء بعد فلما أخبر الجميع بمخاوفه، أسرعوا جميعًا بالبحث عنها، ولكن بدا لوليد شيء فقال: ربما ذهبت لمقابلة هادية في مساكن الطلبة الملحقة بالمدرسة، حيث يوجد فيصل.

قال حسام:

فعلا هذا محتمل فلنذهب فورًا إلي هناك إلا إنهم متى قطعوا عدة أمتار فقط، حتى فوجئوا بهادية تقبل من بعيد وفي رفقتها شقيقها فيصل، ولكن لم يشاهدوا معها لمياء، فأسرع طلال وسأل هادية في قلق:

ألم تأت لمياء لزيارتك؟

فتوقفت هادية بغتة، وقالت في حيرة: لا لم تأت

انتابت الحيرة الجميع، وقال حمدي في خوف، يجب أن يبحث كل منا في مكان من الأماكن عنها، ثم نتلاقى بعد نصف ساعة من الآن فانطلق الجميع يبحثون عنها..

ولكنهم بعد نصف الساعة المتفق عليها، عادوا جميعًا، ولم

يعثر أحد منهم علي أثر لها، فتجمدت هادية في مكانها من فرط الخوف، وقالت تحدث نفسها بصوت مرتفع:

معقولة! إن لمياء لا يمكنها أن تتجول بمفردها طول هذه المدة في هذه المدينة الجديدة، وخاصة في هذا الوقت المتأخر من الليل.

غمغم حمدي في حيرة ووجل وهو ينظر في ساعة يده:

الساعة الآن تجاوزت الثالثة فجرًا فهل يمكن أن تتجول لمياء في هذا الوقت المتأخر؟! قال جاسر وهو ينظر حوله في قلق زائد:

لا يوجد أمامنا سوى معاودة البحث عنها في كل مكان.

بيد أنهم ما كادوا يشرعون في السير، إذا بصوت يشق السكون من بعيد.. كان صوت سيارة الشرطة، [illegible] أنظار الجميع تجاهه، فوجدوا ضوء [illegible] ناحيتهم وظلوا جميعًا ينظرون نحو [illegible]

اقتربت منهم السيارة وتوقفت علي الفور وخرج منها أحد ضباط الشرطة، وفي أثره ضابط آخر ووقف الضابطان لثوان يحدقان في الأصدقاء، وحانت من أحدهما نظرة نحو فيصل، فقال:

آه.. أنا فيصل

ونقل بصره بين الجميع ثم قال:

ومن المؤكد أن هذه شقيقتك هادية، وهؤلاء زملائها أليس كذلك؟

فما كاد فيصل يجب: نعم، حتى انفرجت أسارير وجه الضابط وندت عنه ابتسامة واسعة وقال بلهجة آمره وهو يسرع في دخول سيارته:

هيا هيا ادخلوا سأصحبكم إلي المركز، فتوقف الأصدقاء لثوان وهم في حيرة من هذا الأمر المفاجئ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أخيراً مضطرين إلي دخول السيارة، والتي انطلقت بهم وسط دهشتهم وحيرتهم.. ولكن متى قطعت السيارة عدة دقائق في السير بادرهم الضابط قائلا: نأسف لما حدث من أحد رجالنا المكلف بمراقبة منزل مؤنس الجميل السكرتير الهارب.

فتضاعفت حيرة الجميع، وسأله حمدي في دهشة وحيرة شديدين:

ماذا حدث؟

أجاب الضابط.

لقد اعتقد الشرطي زميلنا أن لمياء زميلتكم مرسلة من طرف السكرتير الهارب عندما لاحظ تسللها، فقام بالقبض عليها فتنفس الجميع الصعداء أخيرا وقالت هادية وهي تلهث من فرط المفاجأة:

إذن لمياء موجودة.. الحمد لله.

ولكن سأله طلال في حيرة:

وأين هي؟

قال الضابط يطمئنه:

إنها موجودة بمركز الشرطة، فلما أحضرها الشرطي المكلف بحراسة منزل السكرتير إلي المركز، كلفنا رئيس المباحث بسرعة إبلاغكم بالأمر، لتطمئنوا عليها، وفي الوقت نفسه هو يريد التحدث معكم.

فأيقنوا جميعًا أن رئيس المباحث قد طلبهم ليتحدث معهم بخصوص الخطة التي توصلوا إليها، فمن المؤكد أن لمياء قد أخطرته بها.

فما أن توقفت سيارته الشرطة أمام المركز، حتى هرولت هادية إلي الداخل قبل الجميع، وأخذت لمياء في أحضانها.

بادرهم رئيس المباحث قائلا وقد انفرجت أسارير وجه علي ابتسامة واسعة:

لقد اعتقد رجالنا بعد ما قبض الشرطي علي زميلتكم لمياء أنهم بذلك قد وضعوا أيديهم علي أحد من طرف المجرم المختفي، وتوقف واتسعت ابتسامته وهو يقول:

ولكن للأسف خاب ظننا، واتضح لنا أنها زميلتك يا آنسة هادية.

فسادت بين الجميع موجة من الضحك، فأرسل رئيس المباحث أحد رجاله ليحضر لهم مشروبات دافئة، ثم التفت إلي الأصدقاء فقال:

ولكننا في الواقع قد كسبنا أرضًا جديدة عندما أخبرتنا لمياء عن الخطة التي كنتم تريدون تقديمها إلي، وزفر في عمق، وقال في إعجاب:

إنها فعلا خطة رائعة، فما إن سمع الأصدقاء منه ذلك، حتى ظهرت علي وجوههم علامات الراحة والشعور بالانتصار، وكان رئيس المباحث منذ أن سمع بخطة الأصدقاء من لمياء ونالت إعجابه الشديد، وهو يفكر طوال الوقت في خطة مكملة ليتم بها تنفيذ هذه الخطة،

فقال لنفسه إن التحريات فعلا قد أثبتت أن مما لا شك فيه أن السكرتير الهارب رجلا فياض العاطفة والحنان ومن المؤكد أنه قد ضعف أمام إغراء مبلغ سمثل هذا.. اثنان وأربعون مليون جنيه، إلا إن عاطفة الأبوة سرعان ما ستتغلب عليه بالقطع، لو وصل خبر بمرض ابنته، أو يرسل إليها من يختطفها ليعالجها من أمواله في أي مكان.. وهنا ينصب له فخًا لرسول الرجل، فتستطيع الشرطة من خلاله القبض عليه، فيعترف على مكان السكرتير.

ولكنه قال للأصدقاء في حيرة:

لا شك أنه لن تمر إلا فترة ما بين يومين إلي أسبوع علي الأكثر من وصول خبر مرض الابنة وحاجتها للعملية، حتى يعلم السكرتير، مما يضطره إلي الحضور، قال ذلك وهز رأسه في إعجاب، بيد أنه قد عن له شيء فقال في حيرة:

ولكن.. فسأله حمدي في لهفة:

ولكن ماذا؟

أجاب رئيس المباحث؟

طبقا لخطتكم في أن تعرف زوجته وابنته أن ذلك مجرد

خدمة منا، فإن ذلك سيصادف مشكلة.

سألته هادية هي لا تصدق:

مشكلة في أن تعرف زوجته وابنته بالأمر، معقولة

أطرق رئيس المباحث لوهلة وقال:

نعم فالمشكلة في من يقوم بمراقبتهم في المنزل، حتى لا يمكنهم الاتصال بهذا الرجل، فكما تعرفون هن نساء ولكن للأسف كل قوتنا رجال فقط.. وهذا مستحيل طبعًا.

فسأله طلال في حيرة:

والعمل فنحن نحتاج إلي فتاة للمراقبة، وإلا فشلت الخطة، فمحتمل جدًا أن يتسرب الخبر إلي زوجها، ولذلك فإن الأمر يتطلب وجود امرأة تعيش في وسطهم.

هز رئيس المباحث رأسه مؤكدًا ثم ندت عنه ابتسامة غامضة وقال بلهجة من اتخذ قرارًا بالفعل:

نعم الأمر يحتاج إلي امرأة مثلهم لتراقبهم خلال هذه الأيام، ولقد عثرت علي أصلح امرأة لذلك.

فلما نظر إليه الجميع مترقبين، أردف قائلا في حزم:

الآنسة هادية شقيقة فيصل.

فنظر الجميع إليه في ذهول..

أصيب جميع الأصدقاء ب ذهول شديد، وجعلوا ينقلون بصرهم بين بعضهم البعض وهم لا يصدقون، ثم صاحت هادية معترضة في غضب:

ماذا تقول يا حضرة الضابط أتريدني أن أكون سجانة، ولكن التفت إليها رئيس المباحث وقال بلهجة تحذير حازمة:

نعم يا آنسة فأنت الوحيدة التي يجب أن تقوم بذلك.

فلما حدقت فيه هادية غير مصدقة أردف وهو يبتسم:

لأنك أنت الوحيدة التي من صالحها القبض على السكرتير لأن شقيقك سيظل متهمًا حتى يتم القبض علي السكرتير المختفي، فيعترف بجريمته.

وتوقف عن البحث، ونظر إليها نظرة ذات مغزى، ثم أردف قائلا:

وهنا فقط سيصبح شقيقك بريئا، ورغم ضيق هادية من ممارسة هذا العمل الذي يشعرها وكأنها سجانة، لكنها اضطرت إلي الإذعان إلي هذا الأمر فهو المخرج الوحيد للوصول إلي براءة شقيقها الحبيب.

وبعد يومين فقط، بدأ رجال المباحث في تنفيذ الخطة.. فتم نشر خبر مرض الفتاة الصغيرة المفاجئ.. وتصدر الخبر العناوين الكبيرة بصفحات الحوادث في أكثر من جريدة رسمية.. وفي الوقت نفسه قام رجال المباحث بتقديم هادية إلي زوجة السكرتيروابنته وأخبرهما بأنها لن تكون أكثر من رفيقة ملازمة لها لمدة أسبوع علي الأكثر.

كان الأصدقاء جميعًا قد اضطروا إلي ترك هادية للسفر لاستكمال دراستهم بالكلية، واستطاع حمدي إقناع رئيس المباحث بإرسال خطاب سري موجه إلي عميد الكلية يخبره فيه بأن هادية في مهمة وطنية تستلزم الغياب أسبوعًا علي الأقل، فاتصل رئيس المباحث بوزير الداخلية الذي وقع بنفسه علي الخطاب.

وبعد يوم واحد فقط، من وجود هادية بين زوجة السكرتيروابنته، حتى شعرت بصداقة غريبة تجمعها بزوجة السكرتيروابنته الكبرى، كان سلوك المرأة ينم عن طيبة ظاهرة، مما جعل هادية تحتار في أمر المرأة.. وما ضاعف دهشتها أن الزوجة وابنتها لم يكن لديهما

مال يكفيهما للإنفاق منه سوى أيام معدودات، فقد كانتا فى انتظار باقى الراتب الشهرى للأب من المدرسة وكانت مجتهدتان.. كانتا تذكران في جدية وعزيمة، وبين حين وآخر كانتا تبكيان عندما يخطر ببالهما والدهما.. أم الأم فتحدثت بصراحة في كافة الأمور، لدرجة تقرب إلي السذاجة.. فأصيبت هادية بدهشة شديدة، وسألت نفسها غير مصدقة :

معقول! هل يمكن أن تكون هذه المرأة التي علي هذه الدرجة من الطيبة والسذاجة شريكة في أخطر جريمة.

ولكن استرعي اهتمام هادية أثناء مراقبتها الدائمة للمرأة شيئًا غريبًا.. فقد كانت بين حين وآخر تدخل غرفتها، وتفتح دولاب ملابسها، ولا تلبث أن تخرج منه علبة حمراء من القطيفة، وتلتفت حولها في قلق، ثم تفتح العلبة وتخرج منها بسرعة ورقة مطوية، وتقوم بفك طياتها ببطء، وما أن تلقي عليها نظرة سريعة، حتى تنفجر في البكاء.. لاحظت هادية أن المرأة كلما فعلت ذلك، تظل لمدة طويلة شاردة الذهن، ولكن سرعان ما ينتابها غضب شديد، فتصب غضبها هذا علي ابنتيها في

الكثير من الأحيان.

ولما تكرر هذا الأمر كثيراً، تساءلت هادية: لو كانت هذه الرسالة من شخص عزيز لديها، فإن حزنها وأساها سيكونان شيئًا طبيعيًا، ولكن لماذا يتملكها الغضب؟ إلا لو كانت هذه الرسالة بغيضة إلي نفسها.

راحت هادية تفكر في هذا اللغز المحير لمدة طويلة، حتى استقرت أخيراً علي أن أفضل إجابة تريح بها عقلها من هذه الأسئلة، هو أن تقطع الشك باليقين، فاستغلت فرصة انشغال المرأة تمامًا بالمذاكرة لإحدى ابنتيها وتسللت إلي الغرفة.. ومما طمئنها وجعلها تواصل تسللها، أن صوت المرأة كان يتصاعد عندما تشرح درس من الدروس.. وبسرعة استطاعت هادية أن تفتح الدولاب وتخرج العلبة القطيفة الحمراء وماأن فتحتها لتقرأها، حتى صاحت غير مصدقة: غير معقول.. لقد وقع في يدي الدليل الذي يثبت أن هذا السكرتير هو المجرم فعلا..

كان رئيس المباحث في هذا الوقت يمر بحالة قلق شديدة فلقد مر أسبوع بأكمله منذ نشر خبر مرض الفتاة لم يحدث ما كان متوقعًا من السكرتير، فلم يسارع إلى إنقاذ ابنته، بل ولم يرسل أحد من طرفه.. بالرغم من أن المرأة وابنتها لا يمكنهم إبلاغه بأن الأمر مجرد إشاعة، لأن هادية تقوم بمراقبة كاملة عليهن.. بالإضافة إلي رجال المباحث المنتشرين في خبايا الحديقة وحول المنزل.

فسأل رئيس المباحث نفسه غير مصدق ماذا حدث؟ فهل هناك خطأ في الخطة؟ ولكنه استبعد ذلك تمامًا لأن كل أقوال الشهود قد أجمعت علي أنه رجل فياض العاطفة والحنان فهل يمكن أن تكون الملايين التي سرقها قد غيرته إلي هذه الدرجة التي جعلته لا يهتم حتى بمرض ابنته الخطير؟ إن خبرته الطويلة تقول إن ذلك يستحيل، فمن يمتلك شخصية فياضة العاطفة مثل هذا الرجل لا يمكن أن تتحول إلي الغلظة أبدا!!

ولكن وفجأة وصلت هادية مكتبه وقدمت إليه الدليل الذي جعله يعرف السبب في اختفاء هذا السكرتير كان



أنا أريد منك مراقبة اسرة السكرتير

الدليل هو الورقة التي استطاعت هادية أن تأخذها من العلبة القطيفة الخاصة بالمرأة، وهو الأمر الذي كان يجعلها كلما تقرأها تنتابها حالة من الضيق والعصبية.. فقد كانت الورقة عبارة عن خطاب من مجهول يخطر المرأة بأن زوجها مؤنس الجميل كان على علاقة بامرأة جميلة تعمل راقصة في أحد الملاهي الليلية، وقد قابلته بالصدفة منذ عدة أيام أي قبل حادث السرقة بشهرين فقط فاستطاعت أن تجذبه إلي حبائلها حتى صار طوع بنانها.. مسلوب الإرادة، وأنهي المراسل المجهول الخطاب بأن الأيام سوف تغيره تمامًا لأنه يعرف طبيعة هذه المرأة الشيطانية.

ما أن قرأ رئيس المباحث الخطاب، حتى شهق في عمق، وهز رأسه وقال بصوت مرتفع:

لقد عرفت الأن لماذا لم يسارع الرجل في إنقاذ ابنته، وسكت، وقال كأنه يحدث نفسه بصوت مرتفع: آه ربما منعت عنه المرأة الجرائد فلم يصله الخبر، ثم قام رئيس المباحث بإخطار مديرية الأمن بموضوع الخطاب فأعطت بدورها أمرًا لجميع رجال المباحث في كافة أنحاء مصر،

لتتبع كل الراقصات اللائى يعملن بجميع الملاهي الليلة وخاصة من تركن العمل بالرقص في خلال الأسبوعين الماضيين.. أو من طرأت على حياتها أمور غير عادية.

وكان الأصدقاء في هذا الوقت قد انتهوا من الاختبارات العملية، وقد وافق عميد الكلية علي تأجيل اختبار هادية نظرًا لظروفها، وأصدر أمر إداريًا سريًا للأساتذة والمعيدين بذلك التأجيل.

والتقي الأصدقاء جميعًا بهادية مرة أخرى، فلما عرفوا منها آخر التطورات، والتي أهمها هذا الخطاب، علق طلال في حماس:

إن هذا الخطاب يعتبر دليلا علي إدانة الرجل بالجريمة، وإن الأمر لا علاقة له بفيصل شقيقك يا هادية.

هزت لمياء رأسها، وقالت في غبطة:

وبذلك ننتهي من هذه المشكلة المعقدة إلي الأبد.

وعاد الجميع في سيارة حمدي وفي صحبتهم هادية، لكي تؤدي الامتحان العملي، المؤجل لها.. وكانت هي في هذا الوقت قد استعادت لياقتها الذهنية والعصبية، بعدما أدركت أن رجال المباحث قد وضعوا أيديهم علي المجرم.

وكان الأستاذ السرجاني في هذا الوقت قد قام بفتح محل صغير للأدوات الكتابية، وجعل بين حين وآخر يزور فيصل ويطمئن عليه.. وكلما زاره يقول بصوت مرتفع في حنق وندم:

أنا السبب يا بني لو لم أسافر.

لكنه عندما سمع من هادية قبل سفرها بموضوع الخطاب المرسل من الشخص المجهول إلي زوجة السكرتير، والذي أدي إلي اقتناع المباحث ببراءة فيصل، شهق في راحة، وقال:

الآن سيرتاح ضميري.

وبعد عدة أيام أسفرت نتيجة تحقيقات وتفتيش رجال الشرطة في البحث عن الراقصات في جميع ملاهي مصر عن وجود راقصتين، قد تركتا العمل في هذه الفترة، إحداهما لكبر سنها وعدم إقبال رواد الملهي الليلي الذي تعمل فيه علي رقصها.. أما الأخرى، فقد تركت شقتها التي كانت تسكنها، ولم تبلغ صاحب العمارة ولا جيرانها بأنها ستغادر الشقة فأجمعت كل التنبؤات علي أن هذه المرأة هي التي وراء الاختلاس.

فلما اتصل رئيس المباحث بهادية ليخبرها بما تم وقال لها : إنه أفضى إليها بهذا السر ليطمئن قلبها علي مستقبل شقيقها فتستعيد حالتها الذهنية العصبية لكي تقدر علي أداء الاختبار فأصبحت هادية منذ هذا الاتصال في قمة الحماسة، وأحاط بها جميع زملائها، وراح كل منهم يشرح لها ما درسه وسمعه من الأساتذة فلم تلبث بعد أسبوع واحد أن حصلت ما لا يمكنها تحصيله في شهر بأكمله فاجتازت الاختبار العملي بتفوق.

إلا أنه وبعد ثلاث أيام من اجتياز هادية الاختبارات وصل رئيس المباحث خبر في غاية الخطورة.. وهو هروب الراقصة التي دارت كل الشبهات حولها إلي فرنسا، ولكن السلطات الفرنسية لم تجد أثرًا لها.

فلما سألته هادية في جزع عن أثر ذلك علي موقف شقيقها فيصل، أجابها رئيس المباحث فقال.

إن هذا يعني هروب السكرتير معها، وبذلك فإن براءة فيصل المعلقة علي اعترافه قد صارت معلقة في متاهات.

فوقعت سماعة التليفون من يد هادية، وكاد أن يغشى عليها.

كانت لمياء خارج الغرفة في الوقت الذي تلقت فيه هادية المكالمة، فلما عادت فوجئت بهادية وقد انتابتها نوبة بكاء متواصلة، فسألتها في لهفة وذعر:

ماذا حدث يا هادية؟ ماذا حدث؟

أجابت هادية وسط شهقاتها المتواصلة:

الراقصة هربت إلي فرنسا، ولم يعرف أحد بعنوانها..

فوجئت لمياء، وتوقفت قليلا لتفكر في الأمر، ولكنها لم تجد حلا سوى اللجوء إلي بقية زملائها ليتشاوروا في الأمر كعادتهم.

ولم تمر إلا دقائق معدودة، حتى استطاعت إقناع هادية بمرافقتها إلي الكافيتيريا للقاء بقية الزملاء، بعدما اتصلت بهم عن طريق المحمول.

كان أثر الصدمة واضحًا علي الجميع، فلم يستطع أحدهم أن يخفي خطورة الموقف، ولكن بادر حمدي بالحديث وهو يسأل هادية:

هل قال رئيس المباحث: إن الراقصة هربت هي والسكرتير، أم أنها هي التي هربت فقط؟

أجابت هادية بصوت يخلو من أثر الحزن العميق:

لا، بل قال: إنها هربت، ولم يقل إن السكرتير قد هرب معها.

تدخل طلال قائلا:

معني ذلك أن الرجل لم يهرب فهو في داخل مصر..

وليد:

طالما أن الراقصة قد غادرت البلاد قبل السكرتير، فهذا يعني أنه سيلحق بها، وهذا ببساطة يوضح أنه قد صار تحت أعين رجال الأمن في كل الموانى والمطارات.

كانت كلمات وليد بمثابة البلسم الشافي لقلق هادية، فلقد شعرت أن الأمر قد بات مجرد أيام ويتم القبض علي السكرتير وتنقشع بذلك الغمة.

فعاود الجميع دراستهم بما فيهم هادية التي دب فيها نشاط هائل، فظلت ليومين كاملين تمارس تجربة قامت بها في المعمل، وجعلت تسجيل بياناتها في إثارة شديدة.

ولم يجد أحدهم وقتًا للحديث مع الآخر أو حتى لمجرد السؤال عن أحواله.. وكان حمدي وطلال وهادية قد انتهوا مع مجموعتهم البحثية من قراءة بحث جديد

منشور علي الإنترنت عن دواء من الأعشاب، فطلب منهم رئيس المجموعة إجراء البحوث لمعرفة مكوناته الطبيعية، لمعرفة كل ميزة لكل عنصر علي حدا، فاستمر البحث لثلاثة أسابيع كاملة.. فلما اجتمعوا جميعًا مرة أخري مع ليماء ووليد وجاسر، وشعرت هادية أن الوقت قد مر ولم يتمكن رجال المباحث من القبض علي السكرتير في مصر، ولم تظهر أمامهم أي محاولة منه لمغادرة البلاد فلما أفضت للجميع عما يعتمل في عقلها وقلبها من شك وخوف، إذا بحمدي يهز رأسه ويقول في حيرة:

لقد نسينا أمرًا لا أعرف لماذا غاب عنا بالرغم من أنه من أخطر الأمور.

فلما التفت إليه الجميع قال:

إن من يمتلك ثروة طائلة مثل هذه، والتي قدرها اثنين وأربعين مليون جنيه.

فحدق الجميع النظر فيه وهم في حيرة من أمره، لدرجة أنه لم يلتفت أحد منهم إلي نادل الكافيتريا الذي احضر المشروبات ووضعها أمام كل منهم.

فأردف حمدي قائلا:

نعم إن من يمتلك ثروة طائلة مثل هذه، دون أن يؤمن نفسه، لن يتواني عن فعل أي شيء ينقذ به نفسه، طالما يستطيع عمل ذلك بأمواله.

فسألته لمياء في نفاد صبر:

ماذا تقصد يا حمدي وكأنك تتلاعب بأعصابنا..

حمدي:

إنني أقصد أن هذا الرجل، وهو يريد الهروب من شرطة دولة بأكملها تراقبه ليلا ونهارًا وخاصة المطارات والموانئ، من المؤكد أنه سيتخذ أسلوبًا خطيراً في الهروب، لا يخطر علي بال أحد..وسكت، وتناول رشفة من كوب الشاي الذي أمامه، وأردف قائلا:

أسهل شيء أنه طالما لديه المال سيقوم باللجوء إلي خبير تجميل من الذي يقومون بإجراء عملياتهم بشكل غير قانوني وخفي عن الأعين، ليجري له عملية لتغيير معالم وجهه.

فصاحت لمياء غير مصدقة:

معقولة!

وندت عن هادية صرخة شبه مكتومة، وصاحت في أسى

شديد:

معني ذلك أن الرجل قد اختفي إلي الأبد حتى لو كان يعيش بيننا.. ويظل بذلك فيصل أخي مدانًا بالجريمة ويوضع في السجن!!

كان لكلمات حمدي وقعٌ خطيرٌ علي الأصدقاء جميعًا، فسرت بينهم جميعًا نوبة من الحزن العميق، وأسرعت لمياء ومدت يديها إلي هادية لتمنعها من السقوط.

وبعد مدة من الصمت الطويل المشوب بالحزن، اقترب وليد بمقعدة من حمدي وهمس إليه قائلا في عتاب:

لقد أخطأت بذلك يا حمدي، فلما نظر إليه حمدي في حيرة أردف وليد قائلا:

نعم فقد تكون الحقيقة في بعض الأحيان شديدة الوجع، لا يستطيع تحملها الفرد، فالطبيب الذي يكتشف مرضًا خطيراً لا شفاء منه لدي المريض، يفضل ألا يصارحه به، لأنه سيصدمه وفي الوقت نفسه لن يفيده في شيء.

ولكن أجابه حمدي بصوت مرتفع:

ومن قال إنه لا يوجد حل

فلما التفت إليه الجميع، أردف قائلا:

نعم لكي نحل مشكلة، يجب ألا يفوتنا منها ثغرة وهنا يكون الحل الأمثل، فتركت لمياء هادية، وسألته في لهفة:

وما هو الحل؟

حمدي:
بالرغم من أننا توصلنا إلي افتراض من أسوأ الفروض وهو أن الرجل قد غير وجهه، وصار إنسانًا آخر، فمن يدرينا أنه سيذهب لمشاهدة، ابنته ويعرف أخبارها وأخبار زوجته..

فشعر الجميع وكأنما فجر حمدي قنبلة أخري، ولكن وبالرغم من خطورة الخبر، إلا أن الجميع فوجئوا بهادية تستعيد لياقتها الذهنية، فقالت: لكن من حسن الحظ أن الشرطة قد وضعت كمينًا لأي فرد يزور منزل السكرتير، فسواء كان هو متنكرًا أو أرسل رسولا من طرفه، فسيتم القبض عليه.

ومرت فترة صمت أخرى، فقطعها حمدي قائلا:
لو كان السكرتير قد غير معالم وجهه، تمامًا.. فعلي الأقل هناك من يعرفه في شكله الجديد.

فلما ظهر التساؤل علي وجوه الجميع، استطرد قائلا:
نعم الراقصة هي الخيط الوحيد الذي يربطنا به وهي موجودة في باريس، فمراقبتها هي التي سوف تدلنا إلي مكانه.

فتجدد بذلك الأمل مرة أخري في قلب وعقل هادية، فانتفضت قائمة، واتصلت لتوها برئيس المباحث، لتبلغه بما دار من أفكار فوعدها الرجل بأن مراقبة الراقصة جاري منذ أن عرفوا بخروجها من مصر، وطمأنها بأن وزارة الداخلية المصرية اتصلت بوزارة الداخلية الفرنسية، بالفعل لتتبع سيرها وابلاغ وزارتنا بأي بيانات عنها.

وواصل الأصدقاء دراستهم مرة أخرى.. واستمروا علي ذلك لعدة أيام.. كانوا خلالها يسألون هادية عما حدث من تطورات ولكنها وبعد عدة أيام، وعندما اتصلت مثلما تتصل كل يوم بشقيقها فيصل علي تليفونه المحمول، حيث كان ينتابها دائمًا قلق شديد عليه، وكان هذا القلق يتضاعف يومًا وراء يوم، فلقد كان لديها شعور عميق بأن الشرطة سوف تقبض عليه في أي وقت، لأنه ما يزال المتهم الوحيد أمامهم.

ولكن.. كان تليفونه مغلقًا دائمًا، فوصل بها القلق غايته، مما اضطرها إلي السفر سرًا إلي المدينة الجديدة.. ولكنها متي ذهبت إلي غرفة فيصل بمساكن الطلبة لم تجده هناك.. فأسرعت وسألت عنه مشرف الغرف،

فأفادها بأن الأستاذ السرجاني الذي يزوره دائمًا، قد زاره هذا الصباح وصحب معه فيصل، وكان معهما التلميذ فهد قريبه، فاضطرت هادية إلي الذهاب إلي محل الأستاذ السرجاني لتسأل عن شقيقها، إلا أنها لم تجد هناك فيصل ولا السرجاني أو فهد، وكان هناك نجار منهمكًا في أشغال النجارة بالمحل، فلما سألته هادية عن الأستاذ السرجاني صاحب المحل، أجابها الرجل وهو منهمك تمامًا في التقاط بعض المسامير من داخل النشارة الخشب التي أمامه:

آه.. لقد ذهب في مشوار

فسألته هادية في لهفة:

وهل كان معه أحد

التفت إليها الرجل أخيراً، وجعل يتذكر لثوان ثم هز رأسه وقال:

آه.. نعم يا آنسة كان برفقته فتيان في حوالي الخامسة عشرة من عمرهما، يظهر أنه سيصحبهما في نزهة، فقد سمعته يقول لهما ذلك.

فشهقت هادية في ارتياح بعدما اطمأنت علي شقيقها

وحانت منها التفاته أخري ناحية المحل قبل أن تنصرف، فلقد لفت نظرها أن المحل صغير جدًا، كما أن الأدوات الكتابية التي سيتاجر فيها السرجاني هذه لا تتطلب رأسمالا كبيرا، فتذكرت المصيبة التي حدثت له، عندما سرق منه خمسين ألف جنيه وساعة ذهبية، فقالت لنفسها من المؤكد أن ضياع هذا المبلغ قد أثر تأثيراً كثيراً علي رأسماله.

وعاودت هادية سيرها، وكانت قد عادت إليها شهيتها للطعام، بعدما انزاح عنها القلق، وتذكرت أنها لم تتناول الطعام منذ فترة طويلة، فكرت في أن تعرج علي أحد محلات الطعام لتشتري بعض الشطائر، فجعلت تسير في الشوارع بحثًا عن مطعم أو محل لبيع الأطعمة، وتذكرت أن عينها قد وقعت ذات مرة علي محل لبيع الأطعمة بالقرب من مركز الشرطة، فسارت تقصده علي الفور.. ولكنها متى اقتربت من المحل، إذا بها تلمح من بعيد سيارة شرطة تقف فجأة، ويخرج منها رئيس المباحث ويسير مسرعًا تجاه مركز الشرطة، فألفت نفسها تغير السير نحو المركز لتقابله، لعلها تقع علي خبر جيد منه.

ولم تترك هادية لنفسها أي فرصة للتردد، بل أسرعت في خطاها حتى وجدت نفسها، أمام باب غرفته، وطلبت من الشرطي الذي يقف أمام بابها أن يطلب الأذن لها بدخول.

بادرها رئيس المباحث قائلا:

هادية يالها من مفاجأة يا ابنتي.. لقد جئت في وقتك تمامًا.

فتسمرت هادية في مكانها، فقد وضح تمامًا أن هناك أمرًا خطيراً قد حدث، فوجه الرجل ولهجة تفصحان عن ذلك..

فلما أشار الرجل إليها بالجلوس، جلست، وقد حاولت أن تسأل ولكن جف حلقها، وشعرت وكأنها تتلقى أخطر خبر في حياتها.

قال الرجل: لقد تم القبض علي المرأة.

فانتفضت هادية واقفة، وجعل جسمها كله يرتجف، وتسارعت أنفاسها من فرط المفاجأة، فلما لاحظ الرجل ذلك، أفتر ثغره عن ابتسامة واسعة ليطمئنها وهو يقول:

ولماذا كل هذا الانزعاج.

ولكن سألته هادية في لهفة شديدة:

وهل اعترفت عن السكرتير.

أجاب أجل وقد اتسعت ابتسامته:

لا تتصوري مدي الحرج الذي اعترانا عندما عرفنا أنه قد ثبت تمامًا أن المرأة لم تعرف شيئًا عن السكرتير، وقد فوجئت بالموضوع تمامًا..

فوقعت هادية مغشيًا عليها.

سارع رئيس المباحث بإفاقة هادية بكل ما استطاع واستعمل نصف زجاجة كاملة من الروائح.. حتى نجح بعد جهد في إفاقتها.. ولكنها رغم الإفاقة، كانت أنفاسها تتلاحق بسرعة هائلة، وتنظر حولها في ذهول، فأمر الرجل بإحضار كوب من الليمون على الفور، وألح علي هادية أن تتناوله. فلما فرغت من الشرب.. بدأت أنفاسها تهدأ قليلا.. وعادت إليها لياقتها الذهنية، ولكن بدا لها شيء فجأة، فسألت رئيس المباحث:

ولكن ألم تضعوا في اعتباركم أن المجرم لا يعترف بجريمته بسهولة، بل قد لا يعترف بها أبدًا فمن من المؤكد أن هذه المرأة أنكرت معرفتها بالرجل لتبرئ نفسها...

بيد أن رئيس المباحث قد افتر ثغرة عن ابتسامة وقال في ثقة:

للأسف.. فلقد كانت الراقصة صادقة في إنكارها بوجود أي صلة بينها وبين السكرتير المختفي، بعد أن تحققنا من ذلك.

فلما نظرت إليه هادية، وقد تضاعفت دهشتها، أردف

قائلا بعد أن أشار إليها بتناول فنجان قهوة، من فنجانين كان الشرطي قد أحضرهما:

لكِ الحق في أن تتصوري أنها كاذبة، فلم يصدق رجالنا ما قاله لهم رجال الداخلية في باريس، إلا بعد أن أخذت المرأة أحد رجال المخابرات المصرية الموجودة هناك من يده إلي مصحة للعلاج النفس في باريس.. وهناك اتضح أنها كانت قد حجزت منذ ستة اشهر كاملة في هذه المصحة بناءا علي طلب طبيب نفساني مصري.

وتوقف الرجل، ومد يده وتناول فنجان قهوته، وتناول منه عدة رشفات، ثم استطرد قائلا:

ولما عرفنا اسم الطبيب النفساني المصري الذي كان يعالجها واتصلنا به، أفادنا بأنها تعالج عنده في عيادته بالفعل، وهو الذي نصحها بالذهاب للعلاج بهذه المصحة الفرنسية، بل إنه هو الذي قام بالحجز لها في سرية، لأنها لا تريد بالقطع أن يعرف أحد أنها تعالج من مرض نفسي وإلا لقفلت في وجهها كل المتنزهات الليلية..

غادرت هادية مكتب رئيس المباحث وهي في حالة من الحزن العميق، وجعلت تسأل نفسها وهي تسير في الطريق:

لماذا تتعقد الأمور هكذا؟ فكلما تم الاقتراب من حل المشكلة، تنغلق الأبواب مرة أخري.

وكانت قد سارت إلي نهاية الشارع الذي يفضي إلي منطقة الخدمات بالمدينة، وفكرت في دخول أحد المطاعم لتتناول أي شيء بسد رمقها، بيد أنها ما إن اقترب من المطعم حتى رن في أذنها جرس تليفونها المحمول.. كانت لمياء علي الخط.. بادرت لمياء قائلة:

أين أنت يا هادية، لقد بحثت عنك في كل أرجاء الكلية، وكان تليفونك مغلقًا منذ الصباح.

فتذكرت هادية أنها أغلقته أثناء سفرها إلي المدينة حتى لا يزعجها أحد، ولم تفتحه إلا عندما دخلت المدينة، فلما أخبرت لمياء بما حدث فوجئت بصوت لمياء يحتبس تمامًا إلا من صوت أنفاسها المتسارعة، ثم قالت لمياء بصوت فيه نبرات الحزن والحسم معًا:

انتظرينا جميعًا بعد ساعتين في المبني الذي يقيم فيه فيصل.

كانت حاجة هادية إلي الطعام شديدة فسارعت لعدة دقائق وهي تبحث في كل مكان حتى عثرت علي مطعم،

فتناولت فيه بعض الشطائر، وودت لو تذهب إلي إحدى المقاهي لتشرب فنجانًا من القهوة، ولكنها أحرجت أن ينظر إليها رواد المقهى في ريبة، كفتاة بمفردها، فجعلت رغمًا عنها تسير في الطريق علي غير هدي، فقادتها قدماها إلي حيث يقطن شقيقها، ففكرت في الصعود إلي غرفته لترتاح فيها بعض الوقت حتى يعود، ولكن تناهي إلي أذنيها صوت جرس تليفونها المحمول، وكان والدها علي الخط، فكادت أن تروي له كل ما حدث لفيصل، ولكنها سرعان ما غيرت رأيها لتختار وقتًا آخر، وكادت أن تبكي وهي تسمع والدها يسألها في لهفة عن أحوالها وأحول شقيقها فيصل، وأنهي والدها المكالمة قائلا :

هادية يا ابنتي أرجو أن تقومي بالحجز لرجل ألماني هو وزوجته يتعاملان في الشغل معي ويريدان الإقامة أسبوعًا بمدينة الغردقة.

وبعد أن قامت هادية بتدوين اسميهما في ورقة ثم قالت بتدوين تاريخ الحجز، قال والدها إنه سوف يصل بعد أسبوعين ليمضي ثلاث أيام معها هي وفيصل.

وراحت هادية تؤنب نفسها وتسأل لماذا لم تخبره بما

حدث لفيصل لعله يصل معها لحل، لكنها فكرت أن تحدثه في يوم آخر.

وراحت تتابع السير في المدينة، ولكنها متى سارت لعدة دقائق تناهي إلي أذنيها صوت شقيقها فيصل، فتوقفت عن السير والتفتت خلفها، فوجدته يجري من بعيد مقبلا عليها، وخلفه كان يقف السرجاني وقريبه فهد يتابعان..

بادرها فيصل قائلا في لهفة:

أختي أين أنت؟ لقد اشتقت إليك فخفق قلب هادية بشدة، وراحت في صراع طويل بداخلها.. كانت تتمنى أن تعمل أي شيء لإنقاذه وسألت نفسها بينما كانت تصغي إليه وهو يتحدث: هل يمكن لأجهزة الأمن اتهام مثل هذا البريء بارتكاب جريمة بهذه الشناعة؟

ولكنها سرعان ما تحاملت علي نفسها وحاولت أن تتماسك أمام شقيقها فاغتصبت ابتسامة قصيره وهي تمد يدها بالسلام علي السرجاني وفهد اللذان أقبلا للسلام عليها.

بادر السرجاني قائلا:

لقد استغللت الفرصة اليوم لأصحبهما في نزه خارج المدينة، وتوقف وقال وقد بدا له أمر: رباه! تصوري هذه

أول مرة يخرج فيها فيصل إلي خارج المدينة.

فشكرته هادية من كل قلبها علي رعايته لشقيقها، وخطر ببالها شيء فسألته عن اسم القرية التى سبق أن أمضى بها إجازته بالغردقة وأرقام تليفوناتها، فلما نظر إليها في حيرة ودهشة، أخبرته أن والدها قد طلب منها الحجز لضيفين، فذكر لها الرجل اسم القرية السياحية، ولكن قال: إنه لا يتذكر أرقام تليفوناتها، وحينئذ تدخل فهد قائلا:

أنا لدي أرقامها.

ووضع يديه في جيوبه، وأخرج حافظة صغيرة للتليفونات وراح يلقي نظرة خاطفة بين أوراقها ثم قال وهو يناولها الحافظة ويشير إلي صفحة بينها:

ها هي

ووجدت هادية نفسها أخيراً مع شقيها الحبيب فيصل الذي أخذ يروي لها تفاصيل سفره الذي تم اليوم إلي مدينة الإسكندرية والتي شاهدها لأول مرة، وندت عن هادية وهي تستمع إليه ابتسامة حزينة فقد كان يعتقد أن المباحث قد وضعت أيديها علي المجرم وهو السكرتير

وبذلك صار هو بعيدًا عما يحدث..
وبعد ساعة تذكرت هادية أن تتصل بالقرية السياحية لتحجز لضيفى والدها..
فجعلت تجرب جميع الأرقام التي حصلت عليها من فهد، ولكنها كانت جميعها مشغولة لنصف ساعة كاملة، حتى استطاعت أخيرا الاتصال.
وبعد أن فرغت هادية من مكالمتها والتي استمرت ربع ساعة كاملة، فوجئت بحضور الجميع.. كانت لمياء تتقدمهم.. وكان القلق باديًا علي وجوههم جميعًا، فقد كانت لمياء قد أخطرتهم عن الأحداث الأخيرة ولكنهم، متى التقوا بهادية، فوجئوا بها تبادرهم قائلة:
لقد وضعت يدي الآن علي الخيط الذي يصلني بالمجرم الحقيقي الذي كان وراء كل ذلك فنظر الجميع إليها في ذهول تام.

فقد حدث أنه عندما اتصلت هادية بالقرية السياحية، ورد عليها موظف الحجز، فلما أخطرته بأنها تتحدث إليه من طرف أحد زبائنه، وهو الأستاذ السرجاني، رحب بها، ولكنها عندما أخبرته بأنها تخشى أن يضطر الضيفان إلي تأجيل الحجز لأي سبب، فترفض القرية ذلك، كما حدث مع الأستاذ السرجاني، مما اضطره إلي السفر في ميعاد حجزه رغم مشاغله في هذا الوقت، لكنها فوجئت بصوت الموظف يبدو وكأنه لا يصدق ما سمع:

ماذا تقولين يا فندم؟!

فاعتقدت هادية أنه لم يفهم ما تقصده، فلما أعادت عليه ما قالته مرة أخري، أجابها قائلا:

للأسف، فإن هذا لم يحدث، فأنا أتذكر جيدا ما حدث مع الأستاذ السرجاني فهو لم يقم بالحجز بالقرية مسبقًا، بل أقبل دون أن يسبق ذلك حجز منه.

وسكت، ثم سمعت رنة ضحك منه أعقبها قائلا: ولكن القرية لم تكن مشغولة في ذلك الوقت أبدا، بل كانت تعاني في الواقع في ذلك الوقت من انخفاض فى الانشغال

شديد، فكيف نرفض تأجيل الأستاذ السرجاني لو كان قد طلب منا ذلك، ونضيع علي أنفسنا حجز غرفة لعدة أيام.

وبعد انتهاء المكالمة، تساءلت هادية وهي لا تصدق معقولة لماذا زعم السرجاني لا وقت لديه لاضطراره إلي السفر حتى لا يضيع عليه الحجز وهو أصلا لم يقم بالحجز؟؟

وجعلت كلمات موظف الحجز تطن في أذنيها، وهي تفكر في جواز السفر الذي استلبه السرجاني من فيصل.. فظنت بأنه فعل ذلك حتى يفوت الفرصة علي فيصل في فتح حساب إيداع الأموال التي بالخزينة، فيرسل هو من يقوم بسرقتها؟

فلما روت هادية ما حدث للجميع، قال جاسر في حيرة:

لكن ربما كان الرجل يكذب ليبرر إحراجه لتخليه عن فيصل.

ولكن قالت هادية في اعتراض:

ما دام هو مضطر إلي السفر، فلماذا طلب جواز سفر فيصل وهو ينوي السفر في نفس الوقت.

بل أبسط شيء أن يتركه له ليفتح هو الحساب بنفسه، فالهدف واضح هو الإعاقة حتى يتم ارتكاب الجريمة.

جعل حمدي يفكر في الأمر مليًا ثم يؤكد: فعلا يا هادية..
فتح الحساب وخاصة أن فيصل كان يلح علي الجميع في
فتح حساب له، لخوفه من المسئولية.
عقب طلال في حماس:
وبذلك يضرب الرجل عصفورين بحجر واحد يفوت
الفرصة علي فيصل في فتح الحساب ليتيح لشريكه في
الجريمة سرقة الخزينة وفي الوقت نفسه يكون هو
الوحيد الذي بمنأى عن الشبهات، فإنه سيكون موجوداً
بالقرية وسط عمالها ومديرها فالكل سيشهد بذلك بأنه
كان موجودًا بالقرية السياحية والتي تقع في أبعد مكان
عن مكان الحادث التي تمت فيه السرقة.
بيد أن وليد قال في حيرة:
يا جماعة أنتم بذلك قد حكمتم علي الرجل حكمًا نهائيًا،
فربما فعل ذلك وهو لا يقصد.. فأحيانا يضطر الإنسان
إلي الكذب ليبرر تقصيره في شيء صغير.. وتصادف أن
نجم عن تقصيره هذا سرقة الخزنة..
راحوا جميعًا يفكرون في الأمر لمدة طويلة واستقروا
أخيراً علي أن أفضل حل هو أن يقوم حمدي بالسؤال

عن السرجاني هذا من خلال أحد معارف والده علي أن تحضر هادية من رجال المباحث بيانات السرجاني فلم يمض إلا يومين فقط، حتى جاءتهم النتيجة : السرجاني كان يعمل بالبنك، ولكنه طرد منه لسوء سلوكه، حيث كان يتقاضى رشاوى من العملاء مقابل تزوير في المستندات الخاصة بالرهن.

فصاحت هادية وقد شعرت بأنها توصلت إلي النتيجة الحقيقة :

لقد تأكدت من ظنوني.. الرجل ظهر أنه المجرم

وقالت لمياء، وهي تعانقها :

مبروك هادية لقد وضعنا أيدينا الآن علي المجرم الفعلي!!

واجتمع الأصدقاء مرة أخري.. كان الاجتماع هذه المرة في إحدى الكافيتريات الكبرى بالمدينة الجديدة، فقد كانوا في إجازة نصف العام، ولديهم متسعًا من الوقت.

وبادر طلال الجميع قائلا :

الآن نحن نفكر وأقدامنا علي أرض صلبة فعقب جاسر موافقًا :

فعلا يا طلال فالأحداث كلها تشير إلي أن علي السرجاني هذا هو المجرم الفعلي، فهذا سيجعلنا نتخذ أقصر الطرق لإثبات إدانته، ولكن قال وليد في حيرة:

ومع ذلك لا تنسوا يا جماعة أن المجرم الذي تتبعونه هو مجرم عتيد في الأجرام، يعمل لكل شيء حساب.

وعنّ للمياء شيء، فتساءلت في حيرة:

إن ما يحيرني أنه طالمًا حصل هذا الرجل علي هذا المال الطائل، فلماذا لا يهرب به إلي أي مكان، ويصر علي أن يفتح محلا صغيراً لا تتجاوز ثمن بضاعته بضعة آلاف من الجنيهات.

قال جاسر مؤمنًا علي كلامها:

فعلا!

ولكن قال طلال معترضًا:

لا، هذا نوع من أساليب التمويه، فلو سافر علي الفور، سيشك رجال المباحث في أمره، ولكنه لو استمر لعدة أشهر أو حتى عام بأكمله في هذا المحل الصغير، فلن يتطرق الشك لدي أحد في أمره.

وظل الجميع يفكرون لمدة، وساد الصمت بينهم تمامًا،

وقطعه حمدي قائلا وهو يهز رأسه كأنه توصل إلي حل:
أظن أنني بدأت أربط بين الأحداث وبين الجريمة، فأستطيع أن أتصورها.. إن الرجل اتفق مع السكرتير،علي تدبير جريمة السرقة، بأن يأخذ هو جواز سفر فيصل ويسافر، فيحول دون إيداع فيصل للأموال بالبنك ليتيح بذلك للسكرتير أن يسرق الخزينة، فاستكمل طلال:
كما أن وجوده بالقرية السياحية في الغردقة يوم، بل وساعة وقوع حادثة السرقة يستطيع إثباته من خلال تواجده الدائم وسط جميع العاملين بالقرية السياحية..
وسادت فترة من الصمت.. كان الجميع يفكر في طبيعة الخطة التي تم تدبيرها ولكن قطع الصمت جاسر وهو يتساءل في حيرة:
ولكن لماذا لا نقوم يا جماعة بإبلاغ رئيس المباحث فيقبض عليه، ويكره علي الاعتراف، فاندفع وليد وهو يقول مؤكدًا:
فعلا فليس من المعقول أن يكون المجرم علي بعد شارع فقط من المباحث.. والأمر لا يقتضي منا مجرد بلاغ..

ولكن صاحت هادية معترضة:

إنني لا أؤيد ذلك الآن، فلا تنسوا أن المباحث بذلت جهدًا هائلا، واستعانت بكل أجهزة الأمن هنا وفي فرنسا، في البحث عن الراقصة التي حامت حولها الشكوك، ونجم عن ذلك.. أن الأمر كان مجرد تخمين.

طلال:

فعلا إن موقفنا قد سار محرجًا، وخاصة أن الدليل الذي وصلنا إليه ليس كاملا.. فكذبة الرجل بأنه اضطر للسفر فوت الفرصة علي فيصل ليفتح الحساب، ممكن أن يغطيها بكذبة أخرى بأنه أراد الاستجمام في القرية فاعتذر بذلك لفيصل.

قال جاسر بعدما اقتنع برأيهم:

كما أن مثل هذا الرجل العتيد في الإجرام، والذي يمتلك مثل هذا القدر من التخطيط للجريمة، قد يراقب هو المباحث، فهو حريص جدا في أن يكون كل سلوكياته وتصرفاته بمنأى عن الشبهات.

ولكن قال وليد في حزم:

بل إن سلوكه هذا يكون في صالحنا! فلما التفت إليه

الجميع أردف مفسرًا:

نعم فهو لن يتصور إلي حد بعيد أننا نشتبه فيه فيسهل ذلك لنا مراقبته بسهولة.

فقالت لمياء:

فعلاً ولمزيد من إعطائه الأمان لجانبنا أن تذهب هادية إليه وتشكره لقيامها بالحجز للأجانب، فربما كان ينتظر ما ستسفر عنه مكالمتها للقرية، وتشك في أمره ولكنها عندما تشكره يزال بذلك الشك لديه ويأمن جانبنا.

واتفق الجميع علي أن تذهب هادية لزيارة السرجاني لتزيل أي شك قد تبادر إليه.. علي أن يقوم حمدي ووليد بمراقبته بعد أن يتنكرا تمامًا.

فلم تمر إلا ساعة واحدة، حتى كانت هادية تقف أمام محل السرجاني، ولكنها لم تجده فلم يكن هناك أحد سوي النجار الذي كان منهمكًا كعادته.. كان مشغولا تمامًا في تركيب أحد الأرفف ويقف إلي جانبه شاب صغير يساعده.

فلما سألت هادية النجار عن السرجاني قال الرجل دون أن يلتفت إليها:

ما أعرف يا ابنتي.

ولكن تدخل الصبي وقال:

لقد سمعت أنه سيسافر إسكندرية اليوم كعادته، فتساءلت هادية في دهشة:

إسكندرية كعادته! وهل يسافر كل مرة للنزهة، ولكن قال الصبي وهو يمد يده ويناول النجار قطعة خشب:

لا يا سيدتي يبدو أنه مقيم هناك، فتضاعفت دهشة هادية وهي تسأله:

ماذا تقول يا شاطر؟ فإنه مقيم هنا.. إلا أن الصبى قال لها بلهجة تأكيد:

لا إنه يقطن في شارع المبرة بالأنفوشي، فأنا أسكن في الشارع المجاور له وأشاهده هناك في كل يوم.

فقالت هادية بلهجة من لا يعنيها الأمر في شيء:

المهم تبلغوا الأستاذ السرجاني أننا مررت عليه، وبلغوه شكري لأنني حجزت في القرية.

فلما أسرعت هادية وأخبرت الجميع بالأمر الذي استحدث فجأة، انتفض طلال واقفًا وهو يقول في حماس:

عظيم لقد وضعنا أيدينا بذلك علي مكانه..

ذهب حمدي ووليد بسرعة إلي مكان إقامتهابمساكن الطلبة، ليقوما بعملية التنكر قبل القيام بمراقبة السرجاني.. وبعد ساعة واحدة، كان كل منهما قد تنكر في صورة مغايرة تمامًا لشكله وكان تنكرهما متقنا تماما لدرجة أنه لم يتعرف عليهما أحد من الطلبة المقيمين بالغرفة المجاورة عندما مرا عليهم.

وفي آخر اليوم كان حمدي يقود سيارته في طريقه إلي الإسكندرية ويجلس بجانبه وليد.

كان شارع المبرة الذي أشار إليه الفتي غير معروف حتى لأهالي المنطقة عندما سألاهما وليد وحمدي عنه، مما جعل الشك يدب في أوصال حمدي ووليد في أن يكون كلام الفتي صحيحًا فاضطر وليد من خلال المحمول الاتصال بهادية أو ابلغها بأن الشارع يبدو أنه وهميًا، إلا أنها ما كادت ترد، إذا بوليد يقول لها بلهجة مسرعة :

سأتركك الأن يا هادية

فقد فوجئ وليد وهو يتحدث إلي هادية بالسرجاني يقبل عليهما فجأة وهو يقود سيارة "فيات" قديمة ومر

من جانبهما حتى حاذاهما، وبسرعة جاوزت سيارته سيارتهما، ثم عبر الميدان ودلف منه إلي أحد الشوارع الجانبية فأسرع حمدي بسيارته خلفه، ولكن ما كاد يسير لعدة أمتار أخري حتى شاهدا من بعيد سيارة الرجل تقف فجأة أمام أحد المنازل القديمة.

فقال وليد:

لننزل هنا ونسيرعلي أقدامنا، فلا يوجد مكان لوقوف سيارتنا.

فأوقف حمدي المحرك، وغادرا بسرعة سيارتهما حتى سارا لبضعة ثوان، حتى قال وليد:

انظر يوجد مقهى هناك أمام المكان الذي تقف فيه سيارته مباشرة.

فجعلا يسيران في الشارع وهما يحاولان أن يحفرا في ذهنهما كل معالمه.. كان الشارع يحوي عدة منازل قديمة وأقدمها المنزل الذي تقف أمامه سيارة السرجاني.

واقتربا أخيراً من السيارة، وجلسا إلي المقهى الذي كان يواجه المنزل مباشرة وجاء النادل بعد مدة طويلة، وسألهما عن طلباتهم، فقال حمدي بسرعة:

كوبان من الشاي.

ولكن ما كاد النادل ينصرف ليحضر لهما الطلبات إذ بهما يشاهدون السرجاني خارج من باب المنزل مسرعًا، ثم حيا بيده رجلا كبير السن كان يجلس متصدرا واجهة المقهى فحياه الرجل بحرارة، وعلي الفور أدار السرجاني محرك سيارته وانطلق بها وسط حيرة وليد وحمدي.

ففكر وليد في مغادرة المقهى بسرعة، ولكن استوقفه حمدي بإشارة من يده، وهو يقول:

لا، لن نستطيع اللحاق به. وقد يلاحظنا أحد من الرواد أو الرجل نفسه ونحن نسرع في أثره.

وفي صباح اليوم التالي جلس الصديقان علي المقهي.

وبعد عدة دقائق فقط، فوجئا بالرجل يخرج من باب المنزل ويركب سيارته فجعل وليد يراقبه بطرف عينيه وهو يحاول أن يبدو مشغولا عنه مع حمدي حتى انطلق الرجل بسيارته فقال حمدي مسرعًا:

هيا..

وعلي الفور هرعا إلي سيارتهما والتي وضعها حمدي علي أهبة الاستعداد.. فأدار محركها وانطلق خلف سيارة

الرجل التي كانت قد وصلت إلي نهاية الشارع سار حمدي بسيارته خلف سيارة الرجل لمدة طويلة، وكان من حسن حظه أن الطريق كان متساويا تماما، فلم يصادفا صعوبة في متابعة الرجل من بُعد..

ولما وصلا إلي محطة الرمل، وجدا الرجل يخرج بسيارته إلي شارع جانبي، فأضطر حمدي أن يهدئ من سرعة سيارته لضيق الشارع.

ولكن قال وليد:

أنظر إن سيارته تقف أمام فيلا إنها الفيلا الوحيدة الموجودة في الشارع بأكمله.

قال حمدي:

لنترك سيارتنا في هذا الشارع المجاور حتى لا يشك في أمرنا.

وسار إلي جانب وليد، ودخلا الشارع الذي توجد به الفيلا التي وقفت أمامها سيارة الرجل، وظلا يذرعان الشارع جيئًا وذهابًا عدة مرات.. وكان الظلام قد بدأ يخيم علي المكان، وفجأة سمعا صوت محرك سيارة الرجل يشق السكون فجأة وسارت السيارة في اتجاههما، فأسرعا

وعرجا علي الشارع الجانبي، وقال وليد وهو يلهث من فرط ما بذله من جهد في الجرى بينما، كانت عيناه تتابعان سيارة الرجل.

لن نستطيع اللحاق بسيارته.. فلقد فاجأنا..

قال حمدي وقد خطرت بباله فكرة سريعة، ما رأيك في دخول الفيلا فيجب أن نتعرف علي أي شيء فيها فسيفيدنا أكيد في البحث، فالرجل غير موجود وهذه فرصة نسأل عن خيط يدلنا على أي شيء..

لقد خطرت ببالي فكرة لدخول الفيلا أن نسأل عن رجل يدعي محمود الغزاوي علي أن تقف أنت خلفي وتراقب الفيلا من الداخل.

ولم يترك حمدي لوليد وقتًا لمراجعته، بل جعل يسرع في خطاه إلي الفيلا مما اضطر وليد إلي مرافقته بسرعة.

قام حمدي وضرب جرس الباب، ففتح الباب وظهر منه رجل عملاق هائل الجسم، لدرجة جعلت قلب الصديقان يكاد ينخلع من صدرهما.

فسأل حمدي الرجل في أدب:

أليست هذه فيلا الأستاذ محمود الغزاوي.

جعل الرجل يتفحصهما في شك وريبة وسأل فجأة : محمود الغزاوي.. من هذا؟

فلما ترددا لثوان في الاجابة، كانت هذه فرصة الرجل ليتأكد من شكه، فلم يتردد في أن يمد يده وبقوة هائلة جذبهما جذبة قوية، فوقعا علي أثرها علي الأرض.

جعل وليد يتأوه من شدة الوجع، من أثر الوقعة الشديدة، إلا أنه ما كاد يهم بالقيام، إذا بعينه تلمحان شيئًا جعله يتجمد في مكانه تماما، وصاح في ذهول معقولة :

فقد فوجئ بالسكرتير الهارب يجلس في ركن من إحدى الغرف موثوق الأيدي والأرجل!!



هل هذه هى فيلا الأستاذ محمود الغزاوى

شعر الأصدقاء بقلق بالغ على حمدي ووليد، وقد حاولوا الاتصال بتليفونهما المحول ولكن دون جدوى فقد كانت تليفوناتهما مغلقين، قالت هادية في قلق ولهفة:

إنني أخشى أن يكون قد حدث لها مكروه..

فعقبت لمياء في جزع:

لك الحق في ذلك فتليفونهم مغلقان منذ صباح الأمس.

قال جاسر في قلق:

لا.. لا يمكن السكوت على هذا الموقف فمن المؤكد أنهما في خطر..

راح الجميع في تفكير مصحوب بالقلق والخوف وقالت هادية وقد تذكرت شيئًا فجأة:

لقد تذكرت الآن.. الفتي الصغير.. صبي النجار الذي يناول النجارة معدات النجارة عندما كان يضع الأثاث في مكان السرجاني..

سألها جاسر في حيرة:

ولكن لماذا؟ ما علاقة هذا الفتي بما نحن فيه؟

هادية:

إنه يعرف اسم الشارع الذي يوجد فيه السرجاني وقد دلني عليه ونقلت الاسم إلي حمدي.

لنذهب الآن فورا لنعرف من الصبي العنوان، ونذهب بعدها إلي مركز الشرطة لنخبر رئيس المباحث على الفور.

فالموقف في غاية الخطورة.

فأسرع الجميع إلي محل السرجاني ولكنهم متى اقتربوا من المحل حتى فوجئوا بأصوات شجار وسبًا بداخل المحل، وكان الناس قد التفوا حول المحل وبعضهم اخترق الباب ودخل ليعرف ما الأمر.

وعقب ذلك ظهر السرجاني وهو يخرج وسط جميع الناس وهو يقبض بيديه على ذراع النجار والأخرى على ذراع الفتي الصغير والذي كان يبكي بصوت مسموع..

وقال السرجاني بصوت مرتفع متوعدًا:

لن أترككما إلا في مركز الشرطة أيها اللصان.

ولكن دفعه النجار بقوة وهو يصيح في غضب:

أيها المجنون أنت المجرم إنها تهمة ملفقة بالكذب، فاندفعت الناس نحوهم وسأله أحدهم في حيرة:

ماذا حدث؟؟

رد السرجاني بصوته الجهوري:

سرقني النصاب.. سرقني بعدما أعطيته الأمان فتركت في المحل لعبة أطفال بالكمبيوتر ثمنها خمسمائة جنيه ولما عدت لم أجدها.

رد النجار معترضًا في ضيق شديد:

يا كذاب يا لعين تلفق لي تهمة

ولكن هتف السرجاني في ضيق هائل مصحوب بالوعيد:

لن أترككما يا لصوص

قال ذلك وشدد من قبضته عليهما وسار بهما في اتجاه مركز الشرطة.

راح الأصدقاء يتابعون الرجل والنجار ومعها الفتي الصغير وهما يسيرون أمامهما في طريقهما إلي مركز الشرطة وسط زحام بعض الناس ولفيف والأولاد.

قال جاسر في حيرة:

وماذا نفعل فها هو الصبي مع السرجاني في الطريق إلي مركز الشرطة وهو الوحيد الذي كان سيدلنا على اسم الشارع.

ولكن ندت عن هادية كلمة واحدة:

غريبة!!
دنت منها لمياء وسألتها في لهفة وحيرة:
وما هو الغريب في الأمر إنه يتهم النجار بالسرقة ولا نعرف الحقيقة.
ولكن صاحت هادية معترضة:
لا.. لا أقصد ذلك بل كل ما يبعث على الحيرة، أن السرجاني هنا، والأغرب من كل ذلك أنه مشغول بموضوع بسيط سرقة لعبة ثمنها خمسمائة جنيه.
هز طلال رأسه وقال مؤكدًا:
فعلا معني ذلك أن حمدي ووليد ليسا في خطر فالرجل الذي نخشي أن يؤذيهما مشغولا بأمور أخري.
وفي هذا الوقت كان حمدي قد أفاق من أثر الضربة التي ناوله بها العملاق بكعب مسدسه ففقدا على أثرها وعيهما ثم قام العملاق بتقيده.
وجعل حمدي يجيل النظر حوله فوجد وليد ما يزال فاقد للوعي وحانت منه التفاته إلي الغرفة المجاورة فوقعت عينه على السكرتير الهارب يجلس موثوق الأيدي والأرجل.. وكان حمدي ووليد قد عرفاه من صورته التي

لم تفارق جيوبهما.

ولم يلبث أن فتح الباب ودخل رجلان يبدو عليهما القوة والشراسة ويسأل أحدهما العملاق الموجود:

وماذا سنفعل مع هذين الشابين؟

قال العملاق محذرا:

لا ترفعا صوتكما فهما ما يزالا غائبين عن الوعي.

ثم أردف قائلا بعد أن قام بفتح الثلاجة لتناول كوب مياه:

لا أعرف ماذا سنفعل فيهما، فالتعليمات التي صدرت هي احجزهما فقط.

هز أحد الرجلين رأسه وقال كمن توصل إلي حقيقة ما:

آه.. لقد عرفت الآن.. سيكونون جميعًا رهينة حتى يحين السفر.

سأله الرجل الآخر:

والسكرتير ماذا سنفعل معه؟

أجاب العملاق:

لا أعرف ماذا يريد الريس؟

هز الرجل الأول كتفه وقال في حيرة:

الحقيقة أننا تعبنا في حمل هذا الرجل من مكان إلي آخر ومع ذلك فكل التعليمات التي صدرت لنا بعدم قتله.

قال العملاق:

آه.. تقصد ليكون رهينة لدينا لو عرفت المخابرات الحقيقة.

ولكن وفجأة سمع حمدي صوت جرس الباب يرن، وأعقبه صوت أقدام تتجه إلي الباب وسمع حمدي صوت العملاق يقول:

آه.. إنه الريس..

وما إن فتح الباب وبينما كان حمدي يفتح إحدى عينه ليري ماذا يحدث، وجعل يرهف السمع، إذا به يسمع صوت الباب يقفل وران الصمت مرة أخرى في أنحاء المكان، وقطع الصمت أحدهم وهو يسأل:

وما العمل يا ريس في هذين الشابين لقد تعقد الأمر.

ولكن ندت فجأة صوت ضحكة مرتفعة، وأعقبها صوت السرجاني وهو يقول:

لا شيء لا بد من التخلص منهما.

صاح أحد الرجلين:

ماذا تقصد يا ريس؟

تناهي صوت السرجاني إلي أذن حمدي وهو يقول:

كما قلت لكم إن هذه الحقائب تحوي بداخلها النقود بعدما قمت بتحويلها إلي دولارات وهل يصدق أحد أن بداخل هذه الحقائب العادية والبسيط ما قيمة اثنين وأربعين مليون جنيه مصري.

ولكن سأل أحدهم:

ونصينا يا ريس؟

قال السرجاني:

لا تخشوا شيئًا فثقوا فيَّ فكما سبق وأن منحت لكل فرد منكم مائتي ألف جنيه أعدكم بأنني سأستكمل نصيب كل منكم إلي المليون جنيه عندما تنتهي العملية.

وران صمت رهيب شعر حمدي معه أن هناك خطرا جسيما يهدده هو ووليد حتى السكرتير والذي اتضح أنه مختطف..

وتذكر تليفونه المحمول ونظر حوله فوجد تليفونه على الأرض على بعد عدة خطوات منه فجعل يفكر بسرعة عساه يصل إلي طريقة يصل بها إلي أحد التليفونات وهو

منه الوثان يديه وقدميه وعلى الفور فكر في أن يتلوي كالثعبان بكل جسده حتى يصل إلي مكانهما ولكن متى شرع في تنفيذ خطته إذا بصوت السرجاني يبدد الصمت وهو يقول:

هيا لا وقت لدينا، فالساعة الآن العاشرة والسيارة تقف على أهبة الاستعداد وسيخرج ثلاثتهم بعد أن نتأكد من أنهم غائبين عن الوعي..

سأل أحدهم:

نقتلهم ونتخلص منهم..

ولكن صاح السرجاني معترضًا:

لا فمن المؤكد أن زملائهم على علم وقد يبلغون عنا الآن..

وتوقف الصوت قليلا ثم أردف السرجاني قائلا:

فأنا سوف أهرب وأغادر البلاد، وبعدها يمكنكم أن تحصلوا على فدية لكم من أهلهم فوالد الشاب المصري يمتلك عشرات الملايين من الجنيهات ها ..ها..هنيئا لكم.

ولم تمضي إلا دقائق حتى دخل العملاق واقترب من حمدي وبسرعة قام برش غازا أفقده وعيه وكان وليد

لا يزال غائبًا عن الوعي، فتركه وذهب إلي السكرتير وبسرعة رش على وجه الغاز ثم قام الرجال الثلاثة ووضعوا كل منهم في أحد الصناديق.

وكانت هناك أربع سيارات تقف أمام باب الفيلا..

وتتقدمها سيارة نقل أثاث ولكن ما كاد الرجال يضعون الصناديق التي تحوي حمدي ووليد والسكرتير ويغلقون باب صندوق السيارة خلفهم، حتى فوجئ الجميع بسائقي إحدى السيارات الأجرة يصوبون إليهم مسدساتهم، ويقولون بصوت مرتفع:

ارفعوا أيديكم!!

فتسمر الرجال الثلاثة في أماكنهم.. ومما زادهم ذهولا أنهم شاهدوا السرجاني وهو يخرج من باب الفيلا وهو رافعا يديه في استسلام إلي رجال المباحث الذين يصوبون إليه المسدسات.

وفي اليوم التالي كان الأصدقاء الست في مكتب رئيس المباحث وقد صحبوا معهم فيصل شقيق هادية.

بادر رئيس المباحث قائلا وقد ظهر عليه الارتياح:

إنني لا أنكر أنه لولا ذكاءكم لما استطعنا القبض على



لقد استطعنا أن نظهر براءتك يا فيصل

أخطر مجرم شهدته البلاد، فهو يتميز بالذكاء الخارق وطول البال الذي جعله يتصرف وكأنه مجرد صاحب محل أمام أعيننا، وهو الذي سرق كل أموال أهل المدينة الجديدة..

قال فيصل في سعادة:

لكن أنا سعيد يا عمو بعودة الأموال..

ولكن تساءل حمدي فجأة:

غريبة لماذا لم يحول الأموال إلي الخارج، وهو الذي يجيد كل طرق التعامل مع البنك.

ندت عن رئيس المباحث ابتسامة واسعة وقال:

لأن كل هدفه هو أن يكون بعيدًا عن الشبهات حتى تسني له الهروب من مصر، ولذلك لم يفتح حسابًا بالبنك لأن هذا سيثير حوله الشبهات، ولذلك قام بتحويلهم إلي دولارات، فقام بعمل مجموعة من التماثيل الفرعونية فى الورشة وجعل كل تمثال مفتوحا أي يكون نصفيه بحيث يجعل كل تمثال يحوي نصف مليون دولار، فئة العشرة آلاف دولار أما باقي الأموال فوضعها داخل جيب سري بإحدى حقائب السفر.

سأل جاسر وهو لا يصدق:

ولكن كيف كان يخطط للهرب بعدما تأكد أن حمدي ووليد توصلا إلي أنه المجرم وبذلك عرفت المباحث بالأمر؟؟

فأثار هذا السؤال شغف الجميع، وتعلقت أنظارهم برئيس المباحث في تطلع شديد فقال:

"لقد اتصل السرجاني بدكتور يسمي الدكتور"روبرتو وهو الجراح الخاص بعصابة المافيا، حيث تعرف عليه السرجاني عندما كان مسافرًا في إيطاليا وتحدث معه هاتفيا وطلب منه أن يأتي مصر باسم مستعار ليقوم بإجراء جراحة تغيرتماما من معالم وجه السرجاني لقاء مليون دولار..

فأطلقت هادية ضحكة مرتفعة، فلما نظر إليها الجميع في دهشة، قال بين ضحكاتها:

تصوروا أن هذا الرجل من فرط دهائه ومكره قد قام بافتعال مشاجرة مع النجار وصبيه، واتهمها بسرقة لعبة قيمتها بسيطة، بل ويصحبهما إلي مركز الشرطة أمام الناس جميعا ليضلل رجال المباحث، فلا يتصوروا أبدا أن رجلا في هذه الظروف والذى يضع نفسه في موقف

مشاجرة وسط الطريق مع نجار وصبيه على مجرد شيء بسيط، هو الذي سرق قيمة اشتراك أهل المدينة الذى وصل إلي أثنين وأربعين مليون جنيه.

هز طلال برأسه مؤكدا وقال:

فعلا لدرجة أنه جعلنا نشك في أن يكون هذا الرجل المشغول بهذا الموضوع البسيط والذي يصمم على الذهاب إلي مركز الشركة لتسليم النجار وصبيه هو الذي يضع حمدي ووليد رهينة لديه....